

ملوك الفن

ما الذنب الذي اقترفته الفنون ؟

قراءة في كتاب فرسان الفن حول قصص حياة الرسامين الإيطاليين

راضي جودة

ملوك الفن

ما الذنب الذي اقترفته الفنون ؟

قراءة في كتاب فرسان الفن حول قصص حياة الرسامين الإيطاليين

راضي جودة

في مقدمة كتاب (فرسان الفن) حول قصص حياة الرسامين الإيطاليين
يكتب المترجم ـ الحسين خضيري ـ نقلا عن كلام المؤلفة إيمي ستيدمان : ما الذي فعله ليوناردو كي يداهم جنود الإحتلال الفرنسي إيطاليا ويحيلوا أعماله التي أنفق فيها عمره إلى أطلال ؟
وكيف أنهم عاثوا فساداً ، وحطموا في ساعات تمثالاً استمر العمل فيه لنحو ستة عشر عاماً ؟.
ويشوهون الجدران التي رسمها في لهو غير بريء ؟
أما الرهبان ، فقد دمروا بجهلهم الجدران التي رسمها ، وأقاموا باباً في وسط الجدار المرسوم !
وكيف كان مايكل أنجلو قامة فنية إبداعية لا تبارى ، وأن هذا المثال العظيم رضخ لأمر البابا ، ورسم سقف كنيسة سستين ، وكم تحمل من المشاق سنين عدة .. ويرقد منبطحاً على سقالة خشبية ، ويرسم السقف مع أن مجرد النظر إليه لمدة عشر دقائق كفيل بأن يؤلم رأسك ورقبتك ؟
وأنت عندما تشرع في الكتابة عن حياة فنان ، وتحاول سليط الضوء على جزء من المتاعب التي تعرض لها ، فأنت تحفر خندقا يؤدي بك إلى سراديب تتشعب بك ، وتغوص معها في مناطق ينعدم فيها مرور الهواء النقي ، وحتما سوف تشعر بالإختناق ، بإختصار لعلك تحفر لنفسك قبراً .
لقد عشت مع الكتاب وقتاً طويلاً ، وشرعت في كتابة ما بين السطور التي توحي للفنان ولا تبوح ، ولقد شعرت بروح هؤلاء الكبار حولي وانا اتصفح أيام حياتهم في عجالة .. وتوقفت فقط عند المشاهد الحقيقية التي في الغالب تكون أكثر صدقاً من وصف خارج من صميم نص تمت ترجمته ففقد الكثير من زمانه وبيئته ولحظات طزاجته .

....

سوف اتابع مع القاريء الكريم قصص الفنانين هنا في الصفحات التالية .. فإلى (قصص حياة الرسامين الإيطاليين) القادمة .

جيوتو ١٢٦٧ ـ ١٣٣٧م

في الريف الإيطالي الجميل بالقرب من مدينة فلورنسا ولد لـ بوندون طفلا أسماه جيوتو .. الذي نشأ على رعي الأغنام وخشونة الحياة الريفية ، لم تتوفر له أماكن للدراسة ، ولم يعرف معنى امتلاك قلم رصاص أو ألوان ، ومع ذلك استطاع بما لديه من شغف التأمل ورسم كل ما يراه خاصة حركات أغنامه ، والنباتات والأزهار والسحب ، فاستعان على تنفيذ رغبته بقطعة من الأحجار على صخرة ملساء ، لكن القدر كان يكتب سطرا جديدا في حياته ، في مصادفة عجيبة حيث كان يمر الرسام الأشهر سيمابو cimabue بالمكان في محاولة لرسم جزء من الطبيعة الخلابة للريف ، ووقع بصره على هذا الفتى التي لفحته الشمس ولكن لم تفارقه الابتسامة ولمعة العين اليقظة ، فلما شاهد رسومات وخربشات الصبي فوق الصخرة الملساء ، واكتشف بخبرته موهبته .. سأله إن كان يحب أن يتعلم الرسم في فلورنسا .

وسافر الصبي مع الفنان بعد موافقة والده الذي يعلم ان مثل تلك الفرص لا تتكرر ، كان المكان شيئا ما يشبه الورشة ، وكان الأطفال و الصبية الذين ذهبوا ليتعلموا الرسم والتلوين .. يتعلمون أولا كيف يسحقون الألوان ويعدونها وليس مسموح لهم استخدام الفرشاة حتى يأتي دورهم بعد مراقبة لاساتذتهم . فلما حان الوقت وبدأ يرسم جيوتو أبهر الجميع فلم يرسم وجوه جامدة وانما كانت الحيوية والجمال فيما قام برسمه كما قام بالرسم على الرخام ، واحب جيوتو الحيوانات واهتم برسمها ، وكانت الصور التي رسمها بالجص هي صانعة البهجة للجمهور الذي لم يكن يتوفر له الكتب ، ولم تكن اعماله في مدينة فلورنسا وحدها ولكن امتدت لمدن أخرى ، واتسعت شهرته وإن كانت المدن الإيطالية في حياته تعيش صراع وحروب وقلاقل مما حدد البعض منهم علاقته بالآخر على حساب هذا الإقتتال غير أن جيوتو عاش بينهم فنانا ليس له علاقة بتلك العداوات ، وراح يرسم بالجص اسقف الكنائس في كثير من المدن ، والشاعر الكبير دانتي لم يستنكف ان يكون صديقا لهذا الرسام الريفي .

ومـن الطرائـف التـي تذكـر للفنـان جيوتـو انـه لمـا ذهـب وفـد البابـا لأخـذ عينـة مـن أعمالـه لم يقـدم لهـم سـوى دائـرة عـلى شـكل حرف (o) وكانـوا غـير مقتنعـين ان يحمـل ذلـك لقداسـته ولكنهـم لم يحصلـوا مـن جيوتـو عـلى غـير ذلـك ، وذلـك الحـرف المسـتدير بإتقـان هـو الـذي هيئـه لرسـم الكنائـس والـذي زاع صيتـه , وأصبـح هـذا الحـرف وهـذا الشـكل مثـال يحتـذى للإنضبـاط ، ومـما كان معروفـا عـن الرسـام جيوتـو هـو سرعـة البديهـة وحبـه للدعابـة .

فرا أنجيليكو ١٣٨٧ ـ ١٤٤٥م

بعد مرور مائة عام على ميلاد جيوتو وفي نفس التلال والريف الجميل الذي يمكنك من خلال حصر وإحصاء النجوم بالسماء ولد الرسام الشهير فرا أنجيليكو والذي كان معروفا في صباه باسم جايدو ، ولد في قريته القريبة من قرية جيوتو ولم يكن فرا انجيليكو فقيرا ولا يحتاج للعمل في الحقل أو رعي الأغنام ، وكان من الممكن حصوله على الجاه والمال لموهبته بالرسم لولا إلتحاقه بدير في فيسول , وهو شاب في العشرين من عمره ليصبح راهباً في خدمة سانت دومينيك , ومن هنا تغير اسمه وأصبح معروفا بـ فرا أنجيليكو أو الأخ الملائكي وودع الحياة بمباهجها الدنيوية واندمج في حياة رهبان سانت دومينيك وهم أشهر المبشرين أنذاك غير أن انحناء الشاب (فرا) أمام كتب الصلوات لم يجعله مثل هؤلاء المبشرين كلام يكترث به البعض ثم يمضي ولكن رسوماته كانت أهم من وعظهم ، وكان هناك صراع في إيطاليا بين الجماعات الدينية ، اضطرت معه فرقة التبشير إلى ترك موطنها في فيسول للبحث عن مأوى آخر وكانت فرصة للرسام الشاب للتجول في المدن ذات التلال وعلمته العديد من الدروس ، ومع فجر كل يوم يخرج من الدير ممتطيا حماره صاعدا بين اشجار الزيتون حتى يصل إلى سانت فرنسيس والتابعين لها في زيهم البني يستقبلونه مسرورين مع أن رداءه الأسود يوضح أنه يخص طائفة أخرى ولا يمنع من دخوله كنيستهم التي غطاها جيوتو بصوره الرائعة .

مرت سنوات عدة قبل ان يسمح لهم بالعودة إلى موطنهم بدير سان دومينيك في فيسول , ولكن رسوماته في تلك الفترة لم يستطيع أحد حصرها ، ولكن سرعان ما بدأ الهمس خارج جدران الدير بشهرة الرسام حتى وصلت لآذان ـ كوزيمو دي ميديسي ـ أحد الحكام الأقوياء في فلورنسا وقد دعاه ليرسم الجدران بالجص في دير سان ماركو . وامتلأت الجدران بلوحات الراهب الفنان الوديع الدائم الإبتسام الذي عشق رسم صور من حياة المسيح ، هذا الرسام الذي لم يبحث عن الشهرة أو القوة وحينما دعاه البابا إلى روما لكي يرسم جدران الكنيسة لم يعبأ بالمجد والشرف أكثر من لو دُعى

ليرسـم صومعـة في سـان ماركـو ، والـذي كان لـه موقـف يحسـب لـه ، وذلـك عندمـا رأى البابـا صنيعـه اسـتدعاه إليـه وقـال لـه :

ـ الرجـل الـذي يسـتطيع أن يرسـم هـذه الصـور لابـد وأن يكـون رجـلا صالحـا وسـيفعل كل مـا يعهـد بـه إليـه ، هـل تـؤدي لي عمـلا آخـر مـن أجـلي وتصبـح مطرانـا في فلورنسـا ؟

فـكان رده : أنـه لا يمكنـه أن يعلـم أو يبـشر أو يحكم ! ولكنـه أخـبر البابـا عـن راهـب متواضـع وصديـق له (فرا أنتونيو) فأخـذ البابـا بنصيحـة الرسـام وكان الختيـار صالحـا وحكيـما .

مـات فـرا انجيليكـو بينـما كان يواصـل عملـه في رومـا ودفـن بهـا بعيـدا عـن محبوبتـه فلورنسـا .

ماساتشو (مازاتشو) ١٤٠١ ـ ١٤٢٨م

في ذات الوقت الذي كان فيه فرا أنجيليكو يغطي جدران سان ماركو بصوره ورسوماته ، كان رسام آخر من طراز مختلف يعمل في كنيسة كارمن في فلورنسا، كان رجلا عاديا لا يهتم إلا بالقليل وكان ينسى حتى أن يطلب أجره وإذا اجتاز الطريق بشعره الاشعث وحذائه ذي الثقوب ، كان مهملا وغير منظم للدرجة التي يفقد أي إنسان معه صبره ، لكن فقط أعطه قلما وسطح أملس ليرسم عليه .

لم يكن اسم توماس يناسبه وعرفه الناس باسم ماساتشو أو توم القبيح ، ولم يعد يخطر ببال احد ذلك اللقب القبيح بعد اصبح اسم ماساتشو من اعظم الأسماء في تاريخ الفن ، وفي اعتقاده ان الفنانين قد فشلوا في جعل حياتهم جميلة كصورهم ، وكانت الصور التي رسموها مسطحة والاجساد معلقة في الهواء ، لذا فقد فقد اعتنى بالضوء والظل ورسم الوجوه بعناية فائقة وبدت المباني حقيقية كما رسم بالجص في فلورنسا وروما.

توم القبيح الذي شغل الناس ونال شهرة كبيرة كانت رأسه تطاول السحب ربما لو عاش أطول لنال شهرة أكثر وأكثر ، لكنه مات ولم يزل شابا صغيرا، وسوف يأتي كل الفنانين ليتلقوا دروسهم من تلك الوجوه التي تبدو حية خاصة وجه الولد الذي يخرج من المياه مرتعدا من البرد ، إنها أكثر الأشياء تطابق الطبيعة فيما رسم ، إن كل الأشياء نتعلمها شيئا فشيئا . وكل ما نتعلمه هو خطوة للأمام .

فرا فيليبو ليبي ١٤٠٦ ـ ١٤٦٩م

في أحد الشوارع الضيقة وفي مدخل بيت كبير كان يجثو ولد صغير خلف حجر من أحجار الأعمدة ممسكا به لينجو من قبضة الريح العاتية وملتف بمعطف مهترىء وممزق يكاد يغطي جسده النحيل فيما كانت شفتاه ترتعد بردا وامتلأت عيناه بالدموع .

مع ذلك لم يقابل فيليبو العالم بوجه حزين بل باستهزاء ومرح ، كان لدى الأطفال الآخرون أباؤهم وأمهاتهم الذين وفروا لهم الطعام والملابس ، ولكنه بدا مختلفا تماما فلم يكن لديه أبدا من يهتم به كسائر الأولاد، حتى عمته التي تولت توفير المأكل المشرب له رغم وجود والدية كانت تعاني الفاقة والبؤس ، وقد تعلم في فصل الصيف ان يلتقط بقايا عناقيد العنب أو قشر الشمام الذي يلقي به البعض وهم ينظرون له وهو يترقبهم وكان البعض منهم يبتسم ولكن الشتاء لا يرحم الجائع وقشر الترمس الذي جمعه لإفطاره قد تناوله كله منذ وقت طويل .

كان يمضي يومه باحثا عن مأو ى من برد وشبع يخمد ألدم الجوع ، حتى انه يجمع بقايا الشموع السائلة بمجراف حديد ليعاود بيعها ثانية لصناع الشموع ولكنه لم يجد شيئا ، وكل ما كان يلقاه من القوم العبوس في وجهه كمن يرى كلب ضال وأجرب ، حتى وجه عمته التي لن تملك طعام إن لم تنه عملها، وها هو الولد قد عاد وقد ظنت انها تخلصت منه هذا اليوم ولما رأت البؤس والجوع والبرد يملأ كيانه .. دفعته أماما بعد أن اتخذت قرار الذهاب إلى الدير .

عندما سمح لهما الراهب الطيب بالدخول وأوصلهما إلى رئيس الدير الذي كان يتناول غداءه فثبتت عينا فيليبو الجائعتان بتجاه قطعة خبز على المنضدة ، وعندما ابتسم له رئيس الدير وأومىء له برأسه حتى أنقض كالطائر على قطعة الخبز واختطفها، وبعد ذلك أصبح الطفل ذي الثمان سنوات يلبس حلة من الصوف بنية دافئة وطعام لم يحلم به من قبل وليأكل قدر استطاعته!

وعندما اراد رهبان الدير تعليمه أشياء أخرى غير الأكل لم ينجحوا تماما فهو لم يستوعب الحروف اللاتينية ولم يراها إلا أشكالا يعبث بها ويرسمها باشكال وحشية وعهدوا به إلى الراهب أنسيلمو ليتعلم مع تلاميذه الرسم واندهش فيليبو للزيل الذي يكبره

يدعى ديامنتي وخبرته في رسم الخطوط المستقيمة والمنحنيات .
واصبحت اصابع فيليبو طوع افكاره ولديها القدرة على الرسم بجمال أكثر من أي شخص آخر لدرجة أن استاذه الراهب أنسيلمو يقول بأنه هذا الطفل الغبي الذي لم يتعلم الحروف الهجائية سيجتازنا ويتركنا خلفه .
حين ناداه رئيس الدير ليقوم بالرسم فوق الجص الأبيض الناعم وأنا يرى المنتج من هذا التعليم الذي استغرق وقتا وصبرا حتى أدركه ، راح يرسم فيليبو الناس في الشارع وزوار الكنيسة وزاع صيت ما يدور ويتحدث الناس عن الشخصيات المرسومه وصارت جلبة داخل الدير مما استدعى تدخل رئيس الدير ليوقف هذا العبث ويعنفه بأنه ما هكذا يتعظ الناس ولابد من رسم القديسين والسماء ، ولكن فيليبو أراد رسم الأرض التي يعرفها ولما امسك بأدواته ليرسم من ديد صور الملائكة لم تكن صعبة عليه وإنما لايريد هو ذلك يريد أن يرى الناس ووجوه غير وجوه الرهبان والدير وأر اد الخروج من هذا المكان ، وفي أحد الليالي أستطاع الخروج من الدير وانطلق مع الشوارع والأرض الفسيحة حتى وصل إلى البحر الهادر بأمواجه وقد اعتلى سفينة ولم يشعر ركاب السفينة أنهم ابتعدوا كثيرا إلا حينما داهمتهم سفينة الموروكن أو المغاربة كما كان يطلق عليهم ذلك ممن يأخذون الناس أسرى ويبيعونهم عبيدا (قراصنة) .. في اللحظة التي ظن أنه حرا طليقا ويبلغ عنان البحر والسماء كان صوت الأصفاد وحده هو الذي يشعر معه أنه ما كان عليه أن يغادر الدير .
واخيرا وصلت السفينة إلى ساحل بارباري وحرر العبيد من قيودهم ومجاديفهم وأخذوا إلى البحر ، كل هذا وعيون فيليبو لا تمل مشاهدة الناس ودراسة وجوههم ، وفي أحد الأيام أقترب من حائط أملس وتناول عصا مفحمة وراح يرسم وجه سيده ، كان مسرورا والصورة تكبر بين أصابعه .
لقد استغرق واندمج مع الرسم للدرجة التي لم يشعر معها بالزحام الذي تجمع حوله ، لكنه عمل بثبات حتى اكتملت الصورة ، ومثلما تجمع الرهبان في دير كارمن صامتين ظل اصحاب الوجوه السمر يحدقون متعجبين مندهشين ، وعندما هرع أحدهم ليحضر الربان .. أتى السيد وكان مندهشا كبقية الرجال وبالكاد يصدق عينيه حين رأى نسخة طبق الأصل من صورته على الحائط .
أمر السيد أن تحل قيود فيليبو في الحال وأن يعامل باحترام وأن يحمل آمنا للعودة إلى إيطاليا ، وضعوه على شاطىء نابلس ومكث قليلا يرسم الصور للملك ولكن قلبه

كان متعلقا بفلورنسا التي سرعان ما عاد إليها ، وإن كان لا يستحق الترحيب ولكن الجميع فرح بعودته ورغم المتاعب التي صادفها كان يحب الحياة ومسراتها واراد الحصول على إجازة من الرسم بعد أن ترك أدواته مبعثرة حوله وتكاسل عن العمل ، كان كوسيمو صديقا دائما للرسامين ورغب في ان يرسم له فيليبو صوره دونما أي تأجيل ، وقد أعد حجرة عالية في قصره للرسام ويسر له كل ما يحتاجه وكان سعيد في البداية وبدأ يرسم ، ولكن عندما شعر بأنه مسجون داخل الغرفة التي يغلق بابها من الخارج لم يتحمل البقاء بعد ان نظر من خلال النافذة المرتفعة عن الأرض ورأى بعض الناس يمرحون في سعادة ففكر في الهروب من المكان عن طريق تمزيق الأغطية والشراشف وربطها في قضبان النافذة وتدلى خارج المكان ، بعد اختفاؤه عدة أيام اعاده كوسيمو دون ان يغلق عنه الأبواب فراح يرسم من صميم قلبه في حرية وانسجام مريم الجميلة والملاك ، وجاءت طلبات لرسم الصور من كل حدب وصوب إلى فيليبو ليبي لمختلف الكنائس والأديرة وكانت الصور تحمل ملامح بعض أصدقائه دون أن يلحظ ذلك أحد .

كان اقرب أصدقاء الفنان الشاب رفيقه القديم فرا ديامنتي وظلا يعملان معا وجاءهم الأمر من براتو أن يذهبا معا ويرسما جدران سان ستيفانو ، وصل الرسامان مع تلميذهما المفضل بوتشيللي وغطيا الجدران برسوم الجص ، وبينما يضع فيليبو اللمسات الأخيرة لصورة لفارا ديامنتي صور فيها موت سان ستيفانو كان يقول له : أنهما في حاجة لإجازة معا بعد أن أمضيا وقتا طويلا بالعمل وفيما يواصل حديثه جاءته رسالة من رئيس الدير في سان مارجريتا راجيا اياه العودة لكي يرسم هيكل كنيسة الراهبات ، فابتسم فيليبو لديامنتي وهو يردد الذي يجب ان يكون .. يجب أن يكون ! سابذل ما في وسعي لأسعد هؤلاء النسوة الجليلات ولكن لا مزي د بعد ذلك .

استقبلته رئيسة الدير الوقورة عند باب الدير وقادته عبر الحديقة المشمسة ويدخل ان للكنيسة المظلمة وفي صوت عذب خفيض اخبرته بما يريدونه أن يرسم العذراء المقدسة والطفل المبارك ، وأرته المكان أعلى المذبح .

بدا الرسام مصغيا ولكن ذهنه كان شاردا! لقد مَنّى نفسه طيلة الوقت أن يعود إلى الحديقة المشمسة حيث رأى وجها صغيرا جميلا وينظر عبر زهر اللوز ، وحين توقف الصوت الهادىء لرئيسة الدير قال فيليبو :

سوف أبدأ غدا في الرسم ، وفعلا مع بداية اليوم التالي بدأت اللوحة تتمدد وتكبر من بين أصابعه ولكن تلك الأصابع الخمس لم تساعده لإستكمال الصورة التي يحدق بها ، وسأله الصوت الهادىء الذي لم يشعر بلحظة دخوله : أثمة خطأ ما ؟!

ـ يبدو أن الخطأ في أصابعي .. لقد وجدت وجها وأنا أعبر حديقة الدير .. هذا هو الوجه الذي أريده بالتحديد ، وإذا حضرت أمامي ورأيتها لساعات ستكتمل الصورة كرغبة الأخوات .

وبعد ان استغرقت رئيسة الدير لحظات في التفكير لتحقق له رغبته :

ـ إنها الطفلة لوكريزيا التي أرسلها أبوها دوق بيوتي في فلورنسا ، إنها لا تزال راهبة تحت التجربة ، ولا ضرر إذا سمحوا لها أن تعيره وجهها الجميل كنموذج لسيدتنا .

جائت لوكريزيا لتجلس أمام هذا الشاب الوسيم ويراها ويتحدث معها وحدهما وتطور الأمر بينهما، واخبرها فيليبو أنه أحبها ، وقالت إنها لا تتصور حياتها بعد رحيله ، واتفقا على إشارة فيما بينهما للهروب سويا والحياة معا في فلورنسا ، تميز أبو لوكريزا غيظا وفزعت الراهبات وتعجب الجميع من هذه المغامرة للرسام الفلورنسي

ولحسن حظ فيليبو أن صديقه كوسيمو وقف إلى جانبه بعد ان توسل للبابا ليسمح لفرا فيليبو بالزواج من لوكريزيا وقد تعطف البابا وأجابه لطلبه، وعندما أتى الربيع جاء الطفل الذي أراد الأب أن يسميه فيليبو فقالت الأمن أنه صغير وليكن اسمه فيليبينو وصارت صوره ورسوماته اكثر إشراقا بعد استقرار حياته وقد اقبلت طفلته التي اسماها اليساندرا تيمنا بحضور تلميذه المحبوب ساندرو بوتيشيللي الذي تنبأ له انه سوف يوقظ العالم على أعجوبة جديدة ، وصارت الحياة مع فيليبو تسير بين عمله في الرسم وبين بيته وحبه للوكريزيا حتى كان اليوم الذي يجب أن يغادر إلى سبوليتو ليعمل في كنيسة سيدتنا لمدة ثلاثة أشهر مصطحبا صديقه المخلص ديامنتي ، ومضت الأيام والزوجة الشابة العاشقة تنتظر وصول حبيبها حتى لاح لها من بعيد ديامنتي عائدا وحيدا ليحمل لها الخبر بنفسه ، فقالت له : لا داعي أن تخبرني لقد مات ولكن كيف كان ذلك ؟ .

ساعات من الألم وبعدها فارق الحياة لقد كان هناك حديثا عن سم ولكن من يستطيع أن يجزم ؟ وماتت الفرحة في حياة لوكريزيا .

ساندرو بوتيشيللي (مارس ١٤٤٥ ـ مايو ١٥١٠) م

في الوقت الذي رسم فيه فيليبو صوره وجلب الشهرة لدير كارمن ، كان المواطن ماريانو فيليبي في محنة عظيمة بسبب أبنه الرابع اليساندرو الذي لم يستقر له قرار في تعليم أو تجارة أو عمل ، ثم قرر يائسا أن يرسله إلى ورشة جار له يدعى بوتيتشيللي وكان صائغا متقنا لعمله ، وقد وافق أن يقبل ساندرو كتلميذ له وقد عرف التلميذ باسم استاذه وسُمى ساندرو بوتيتشيللي .

عمل ساندرو لبعض الوقت مع استاذه في رسم تصميمات لصائغي الذهب ، واتسع عقله بما يرى وبسمع ووجه قلقه واحلامه إلى أن يصبح رساما ، ولم يعد لوالده اي قرار أو رأى بل استسلم للأمر الواقع بارسال إبنه ليكون تلميذا لـ فرا فيليبو ليبي وسرعان ما أضحى المفضل لدى استاذه ، والذي تنبأ له بمستقبل باهر في الرسم ، وكان يصطحبه معه في أماكن مختلفة ليساعده في عمله.

مرت السنوات ولم يعد الأب يشكو من أبنه الذي اصبح له اسم مشهور في فلورنسا ، وكانت الفرصة مواتية فقد كان عهد الحكم للورينزو ابن كوسيمو دي ميديسي ، وبلاطه يمثل مركز الجمال والروعة ، وكان كوالده يسره أن يكتشف رساما جديدا وسرعان ما أضحى بوتيتشيللي النفضل عنده .

ولم تعد موضوعات القديسين والملائكة وعين العذراء الحزينة هي موضوعات ذلك الوقت وقد فاض بوتيتشيللو في رسم موضوعات راقصة مبهجة ومن واقع الأرض .

سيمونيتا هي السيدة الوحيدة التي أراد أن يرسمها ساندرو كفينوس والتي ولدت من زبد البحر وقد طفت على الشاطىء واقفة في صدفة وقد التف حول شعرها الذهبي، هذا الفنان العاشق للجمال لم يتزوج قط ولم يبال بوجه جميل آخر ، وله طبيعة في المرح ساحرة ، عندما تضرر من جاره المزعج والذي يعمل في ورشتة بصوت مرتفع يرتج معه البيت ولا يستطيع مع ذلك ساندرو ان يرسم وعاتب الرجل الذي تمسك بما هو عليه تحت العنوان الكبير انني حر في منزلي ، فما كان من ساندرو الا البحث عن حجر ضخم وضعه بمان مرتفع ومع أول هزة ربما يسقط فوق ورشة الجار ، فلما رأى جاره الحجر وضخامته خاف ان يحطمه هو وورشته وطلب من ساندرو ان يرفعه بعيدا ولكن كانت اجابته مثلما قال له الجار من قبل : الا يستطيع الانسان

ان يفـع مـا يريـد بمنزلـه .
وهكذا تعلم الجار الدرس ولم يعد يسبب له الضوضاء .
وقصتـه مـع تلميـذه باجيـو مرحـه جـدا عندمـا اراد مسـاعدة باجيـو في بيـع أحـد لوحاتـه وطلـب مـن باجيـو ان يضعهـا تحـت ضـوء مبهـر ثـم يذهـب لإحضـار المشـتري وقـام هـو وتلامذتـه بتغطيـة رؤوس صـور الملائكـة بالشـمع وبالـوان القبعـات التـي يسـتخدمها العامـة في فلورنسـا وعندمـا جـاء باجيـو ومعـه المشـتري كان ان يفقـد عقلـه ولم يتصـور هـذا التحـول الـذي حـدث لملائكـة لوحتـه ، وكان المشـتري يشـعر باللعبـة ولم يتراجـع عـن فكـرة شرائهـا .
ولم تـدوم نعمـة البهجـة والبـزغ التـي صاحبـت حيـاة لورينـزو الرابـع فقـد خـرج مـن ديـر سـان ماركـو الراهـب سـافونارولا الـذي اجتمـع النـاس حولـه كانـه صرخـة ايقظـت النـاس وهنـا تـرك سـاندرو مرسـمه ورسـوماته واصبـح تابعـا للراهـب .
في هــذا العهــد مــن الــترف والمتعــة خــرج شــباب ماجــن يعترضــون النــاس بالطريــق للحصـول عـلى أموالهـم ولكـن سـافوتارولا اعمـل عقلـه وحـاول تطهـير المدينـة مـن تلـك المظاهـر وصـار الشـباب يجمعـون الأمـوال مـن أجـل مسـاعدة الفقـراء وتحولـت ألعابهـم ونشـاطاتهم لأشـياء نافعـة ، ولكـن كـما نعـرف أن دوام الحـال مـن المحـال حيـث احتشـد النـاس ضـد هـذا الراهـب الـذي كان شـعلة النـور بالنسـبة لهـم انقلبـوا عليـه ، الـذي صرف كل وقتـه يعلمهـم ويحسـن إليهـم احرقـوه.
ومـر وقـت طويـل بعـد ذلـك قبـل ان يهتـم بوتشـيللي بمعـاودة الرسـم مجـددا، كان تجـاوز سـن الشـباب يائسـا وحزينـا وناقـما عـلى هـذا العـالم الـذي عامـل السـيد الـذي أحبـه بـكل تلـك القسـوة ، هـذا الفنـان الـذي رسـم الأرجـل الرشـيقة الراقصـة صـار يمـشي مسـتندا عـلى عكازيـن ، وزبلـت ازهـار السوسـن التـي كان يعتنـي باظهـار جمالهـا.
الجـزء الأخـير مـن حيـاة بوتشـيللي هنـا منقـول مـن ويكيبيديا : « مـن رسـامي عـصر النهضـة الإيطاليـة. عـاش بفلورنسـا حيـث أبـدع أعمالـه. تتميز لوحاتـه بخطوطهـا الواضحة المتناسـبة وألوانهـا الرقيقـة وزخارفهـا المتعـددة وشـاعريتها. ولم يشـارك بوتيشـيللي زمـلاءه الفلورنسـيين في اهتمامهـم بالعلـوم والطبيعـة، لـذا فإنـه لم يحـاول أن يصـوِّر المناظـر ذات الأبعـاد وفقًـا لقوانـين المنظـور، أو يُصـوِّر جسـم الإنسـان وفقـا لقوانـين علـم التشريـح.
تنقسـم أعـمال بوتيشـيللي إلى قسـمين: يصور في القسـم الأول زينـة الحيـاة الدنيـا، والقصص الأخلاقيــة المعقــدة، والموضوعــات الأســطورية الجميلــة. ويكشــف في القســم الثــاني مــن

أعمالـه عـن مشـاعر جـادة ومنضبطـة، ومثـال ذلـك لوحاتـه التصويريـة لملحمـة دانتـي الكوميديـا الإلهيـة وكذلـك لوحاتـه الدينيـة. وفي أواخـر تسـعينيات القـرن الخامـس عـشر الميـلادي، بلـغ تأثـر بوتيشـيللي بدعـوة سـافونارولا ضـد الانغـماس في المتـع الدنيويـة مبلغًـا جعلـه يحـرق بعـض لوحاتـه غـير الدينيـة، ويرسـم منـذ ذلـك الحـين لوحـات دينيـة فحسـب.

• لجـأت أُسر فلورنسـية غنيـة كثـيرة إلى هـذا الرسـام لـكي يزخـرف منازلهـا ويرسـم لوحـات لهـا . وقـد سـاهم في تزيـين كابيـلا سيسـيتن في رومـا . غـير أن شـهرته تكمـن في لوحـات عـدة منهـا العـذراء الممجـدة في فلورنسـا ، وبعـض الرسـوم لتزيـين كتـاب دانتي ((الملهـاة الآلهيـة)) . وحـوالي نهايـة حياتـه راحـت شـهرته تقـلّ إثـر أفـكار ليونـاردو دافينـشي ، ومايـكل أنجلـو »

دومينيكو غرلانديو ١٤٤٩ ـ ١٤٩٤ م

والـد دومينيكـو كان صائغا بارعـا واكتسـب لقب (غرلانديو) أي صانـع الأكليـل لشـهرته في اتقـان صناعـة الأكاليـل والأطـواق الذهبيـة والفضيـة والتـي كانـت الجميـلات تتزيـن بهـن أنـذاك ، التحـق دومينيكـو بورشـة والـده وسرعـان مـا تعلـم كيـف يلـف السـلك الذهبـي الرقيـق ويخـرج تصميـمات اسـعدت والـده وكانـت محـل افتخـاره .

لكـن صنـع الأكاليـل لم يـرض دومينيكـو، وكـما حـدث لبوتشـيللي بـدأ يحلـم أن يصبـح رسـاما ، لشـعوره بـان عمـل صانـع الحـلي ضيـق ومحـدود ، وتـاق لعمـل أوسـع ، وكان يقـضي سـاعات فراغـه في رسـم الوجـوه الي تـأتي لمتجـره أو تلـك الوجـوه العابـرة .

وظهـرت في لوحاتـه وجـوه يعرفونـا النـاس والمألوفـة لهـم مـن النبـلاء الفلورنسـيين والسـيدات بالقصـور حتـى الباعـة والمزارعـين وذات يـوم رسـم اسـقفا يرتـدي نظـارة تسـتقر عـلى أنفـه ، ولقـد كانـت هـذه هـي المـرة الأولى التـي ترسـم فيهـا نظـارة في صـورة .

وكأي شـخص كان عليـه أن يذهـب إلى رومـا ليضيـف مسـاهماته ولكـن معظـم عملـه قـد تـم في فلورنسـا ، وهنـاك معبـد في كنيسـة سـانتا ماريـا نوفيـلا يخـص عائلـة ريتـشي ، قـد تلفـت بعـض الرسـومات التـي كانـت تغطـي جدرانـه بفعـل الرطوبـة ، ففكـرت عائلـة تورنـا بـوني ان تنـال شرف ترميـم رسـومات المعبـد فذهبـوا لعائلـة ريتـشي وعرضـوا عليهـم ان يتكفلـوا بالامـوال والإشراف عـلي إعـادة الرسـم بواسـطة الرسـام دومينيكـو الـذي بـدأ اسـمه يلمـع في عـالم الشـهرة وعـرض عليـه جيوفـاني تورنـا بـوني ألـف ومائتـين قطعـة ذهبيـة عـلى ان يزيدهـا مائتـين مـن القطـع إذا أعجبـه الرسـم ، وكان المبلـغ كبـر بطبيعـة الحـال ، فعمـد غرلانديـو إلى العمـل بـكل سرعـة وبشـكل يومـي حتـى اكتملـت الرسـومات في العـام الرابـع .

ثـم تنـازع حـدث بـين عائلـة ريتـشي بعـد الرسـومات والتجديـدات التـي غـيرت عليهـم المـكان لـولا ان جيوفـاني قـدم لهـم ترضيـة بـان اهـم الرسـومات التـي تؤكـد أحقيتهـم بالمعبـد رسـمت في مـكان مرتفـع وخـاص ، وقـد ابـدع دومينيكـو في رسـم قصـة العـذراء مـن لحظـة ميلادهـا ثـم ارسـالها للمعبـد والخدمـة بـه وهـي طفلـة بعمـر الثلاث سـنوات

وعندمـا غـدت شـابة وتقـدم لهـا يوسـف ثـم جائتهـا البشـارة بالمولـود المقـدس قصـة مكتوبـة داخـل الكتـاب بعنايـة ولكـن ليسـت كـما هـو السـياق المعـروف في سـورة آل عمـران ولا كـما هـي بكتـاب العهـد الجديـد ولكنهـا اي القصـة تتسـم بالتشـويق والملائكية بعدهـا اي بعـد الانتهـاء مـن رسـم قصـة العـذراء ، وافتـه المنيـة وهـو في الرابعـة والاربعين مـن عمـره .

فيليبينو ليبي ١٤٥٧ ـ ١٥٠٤م

تـولى فـرا ديامنتـي رعايـة فيليبينـو الصغـير الـذي ابـدى رغبتـه كي يصبـح مثـل ابيـه رسـاما دون الخـوف عليـه ان يتسـكع في شـوارع فلورنسـا عاريـا ، وعندمـا بـدأ في تدريبـه كان لديـه الكثـير مـن النقـود ، وبـدى تدريبـه مختلفـا فاسـتاذه هـو سـاندرو بوتشـيللي مـن تلامـذة والـده وعمـل معـه في براتـو .

مضـدت ايـام الصبـي في تقـدم بالمثابـرة والاجتهـاد ودون الوقـوع في أخطـاء أبيـه ، كـما قـام بتطبيـق كل الصـور التـي اسـتطاع معلمـه أن يلقنـه اياهـا ، ثـم بـدأ يرسـم صـوره الخاصـة .

وكان عملـه الأول رسـم كنيسـة كارمـل وهـي ذات الكنيسـة التـي تعلـم فيهـا فيليبـو وديامونتـي دروسـهما، وقـد تطلـع برهبـة واحـترام إلى أعـمال ماساتشـو .

مـات الرسـام العظيـم تـوم القبيح Ugly Tom ومازالـت أجـزاء مـن رسـومات الكنيسـة لم ينتـه العمـل بهـا بعـد ، لـذا دعـى فيليبينـو ليمـلأ هـذه المسـاحات بعملـه ورسـومه ، ولم يكـن الصبـي الصغـير في حاجـة للتوصيـة ألا يرسـم صـور أرضيـة ، واصبـح هنـاك مـن العمـل الكثـير الـذي ينتظـره .

والجميـل الـذي تميـز بـه هـذا الفنـان كان ولعـه بدراسـة الزخـارف الرومانيـة القديمـة ورسـمها في صـوره متـى كان ذلـك ممكنـا، وأضحـى جـد مشـهور بهـذا النـوع مـن الفـن .

ومثـل سـائر فنـاني فلورنسـا العظـام مـا إن زاع صيـت فيليبينـو حتـى دُعـى إلى رومـا ورسـم العديـد مـن الصـور هنـاك وتوقـف في طريقـه عنـد سـبوليتو وصمـم هنـاك نصبـا مـن المرمـر عـلى قـبر والـده .

لم يكـن فيليبينـو مثـل والـده مغـرم بالسـفر والمغامـرة حتـى دعـوة ملـك بلغاريـا لـه لم تغـره ليـترك وطنـه ، وكانـت كنيسـة سـانتا ماريـا نوفيـلا في فلورنسـا آخـر رسـوم الجـص التـي رسـمها وكأنهـا حقيقيـة وحيـة لدرجـة أن أحـد تلاميـذه انتهـز فرصـة خروجـه وكان يوجـد كيـس مـن القطـع الذهبيـة ، ولكـن فيليبينـو عـاد فجـأة فارتبـك الولـد الـذي أخـذ الكيـس واراد أن يخبئـه في فجـوة بالحائـط ولم تكـن الحفـرة إلا رسـم ولـون .. كانـت الحفـرة مرسـومة مـما أدى إلى ضبـط الولـد الـذي اضطـر ان يعـترف خجـلا .

مـا كاد فيليبينـو ينهـي رسـوم الجـص حتـى أصابتـه حمـى وتـوفى بغتـة مثـل والـده .. وعندمـا عـبرت جنازتـه شـارع بـاي دي سرفي أغلقـت جميـع المحـال التجاريـه وبكتـه فلورنسـا كلهـا .. والـذي أصبـح أمـيرا للفـن بهـا .

بياترو بيروجينو ١٤٤٦ ـ ١٥٢٤م .

منـذ اللحظـة التـي انطلـق فيهـا بصحبـة والـده مـن بيتهما في كاسـتيللو ديـل بييفـو بقدميـن حافيتـين متربتـين متجهـين إلى بيروجيـا المدينـة القصيـة وقـد حـاول ألا يبـدو متعبـا خاصـة وان والـده يحثـه بالقول : هـل أنـت متعـب بالفعـل يـا بياتـرو ؟ نحـن لم نبلـغ منتصـف الطريق ! ويجـب ان تخطـو بشـجاعة وتكـون رجـلا ، فمـن اليـوم سـوف تبـدأ حياتـك العمليـة ولم تعـد طفـلا كسـولا لا عمـل لـه .

اراد ان يبـدو رجـلا فقـال لوالده : لسـت انـا المتعـب إنهـا سـاقاي لا يمكنهـا ان تخطـوا مثـل خطواتـك الطويلـة !! .

وصلـوا في النهاية إلى البوابة المنيعة اتروسـكان التي بنيت أول مـرة منـذ مئـات السـنين ومـازات قـادرة عـلى صـد جيشـا مـن الأعـداء إذا مـا احتاجـت بيروجيـا أن تدافـع عـن نفسـها ، واسـتطاعوا المـرور وسـط تدافـع النـاس والوصـول لوسـط المدينـة ومنطقـة السـوق أمـام الكتدرائيـة بالميـدان العـام .

هنـا توقـف الرجـل وسـأل أحـد العابريـن عـن متجـر نيكـول الرسـام ، فأجابـة المواطـن واشـار إلى متجـر متواضـع في ركـن السـوق وسـأله : أترى أحـضرت الطفـل ليكـون موديـلا للرسـام ؟

فرفـع بياتـرو رأسـه متفاخـرا وأجـاب بسرعة : أنـا لم أعـد طفـلا ولقـد جئـت لأعمـل لا لأمكـث بـلا عمـل !!

وكذلك عندما سأله الرسام الطاعن بالسن : ما الذي تستطيع فعله ؟

فأجابـه الولـد في التـو: كل شيء ، أسـتطيع أن أكنـس المتجـر وأطهـو العشـاء ، وسـأتعلم كيـف أطحـن الألـوان وأغسـل فـرش الرسـم وأؤدي أعـمال رجل ! ضحـك الرسـام وقال : أثـق في هـذا وإنـك سران مـا سـتصبح أعظـم رجـل في بيروجيـا ، وتجلـب الشـهرة لهـذه المدينـة الجميلـة سندعوك بــ بياتـرو فانوتـشي ، ولكنـك سـتأخذ اسـم المدينـة وسنسـميك بيروجينو . كان الاسـتاذ يمـزح عندمـا قـال إنـه سـيصبح رسـاما عظيـما ، ولكـن بمـضي الوقـت ومراقبتـه لـه وجـده يتقـن عملـه وينجـزه في سرعـة ، واوصـاه الاسـتاذ بوصيـة رائعـة .. يجـب ان يهتـم بهـا كل الفنانـين ، كان الاسـتاذ يقول : « ليـس ثمـة شيء أجمـل مـن فـن الرسـم إنـه السـلم الـذي يقـود إلى السـماء، والنافـذة التـي ينسـل منهـا الضـوء إلى الـروح ، يحتـاج الرسـام ألا يكـون فقـيراً ولا وحيـداً؛ إنـه يخلـق الوجـوه التـي يحبهـا بينـما يبقـى الضـوء والألـوان

والجـمال مـلء يديـه، فـإذا مـا أردت أن تصبـح رسـاماً يـا بيروجينـو الصغـير فإننـي لـك ثـروة أعظـم مـن هـذه ».

اختـار بياتـرو جـزع شجرة مجـوف ليـس بداخلـه دون أن يـراه الآخـر ، ومـن خـلال مكانـه يتأمـل كل مـا حولـه مـن جـمال وطبيعـة ووجـوه وعابريـن ، ورغـم مجهـوده في العمـل الـذي بالـكاد يكفيـه قـوت يومـه كان يصغى بشغف لكل زائر للمتجر ليتعلم شـيئا ف ي عالم الرسـم ، واحيانا ما كان يغامـر ويسـأل الزائـر إذا كان مسـافر أو أتى مـن مـكان بعيـد ، وحـين أتى رسـام مـن فلورنسـا سـأله بياترو : أيـن توجـد أجمـل صـورة ؟ وأيـن يوجـد أعظـم رسـام ؟

فلـما وصـف لـه الصـور التـي تغطي جـدران الكنائـس في فلورنسـا وكذلـك الزهـور والألوان ، قـال في نفسـه أنـا أيضا سـأذهب إلى فلورنسـا ولا داعـي مـن الإنتظـار حتـى يتوفـر المـال الـكافي ، واندفـع في النهايـة يسـلك الطريـق الأبيـض الطويـل الـذي بـدا لـه إنـه لا نهايـة لـه وواصـل سـفره يومـا إثـر يـوم ، حيـث رأى مـن بعـير مدينـة أحلامـه تلـوح لـه مـن تـلال التـلال والزهـور تطوقهـا الأبـراج والقـلاع ، مسـكين بياتـرو هـا هـو العـالم الـذي تـاق أن يظفـر بـه ، ولكنـه مـزال طفـلا ريفيـا فقـيرا فـأنى لـه أن يتسـلق السـلم الذهبـي للفـن ، والـذي قـاد الكثـير مـن الرجـال للشـهرة والمجـد.

بـدأ العمـل المجهـد وهـذا هـو المهم حتى ابتسـم لـه الحـظ بملاحظـة الفنانين الفلورنسـيين لعملـه الجـاد والمتميـز .. رغـم أخطائـه ، وتعـرف وشـاهد اعـمال المشـاهير واقـترب منهـم والتقـي بوتشـيللي الصغـير والشـاب الـذي يماثلـه بالعمـر والـذي كان يدعـى ليونـاردو دافنـشي والـذي كان يهمـس الجميـع بأنـه سـيصبح ذات يـوم أعظـم فنـاني عـصره .

وكان أمـام بياتـرو الكثـير ليتعلمـه وكانـت دروس ماساتشـو الأكـثر روعـة مـن خـلال رسـوم الفريسـكو ، وجـاءت سـاعة التتويـج حـين تسـلم بيروجينـو دعـوة مـن البابـا للذهـاب إلى رومـا ليرسـم كنيسـة سيسـتين .

اختلفـت حيـاة الرسـام الشـاب ، فلـم يعـد يسـأل أيـن وكيـف سـيتناول وجبـة طعامـه الآتيـة ، أصبـح ضيـف ملـكي ويتـشرف الرجـال بصحبتـه ورغـم حبـه لفلورنسـا إلا أن قلبـه كان معلقـا بالمدينـة التـي تتوسـط التـلال والتـي يحمـل اسـمها ، سـافر اليهـا واجتـاز البوابـة القديمـة وهـو يتذكـر تلـك الأيـام ، حقـا أنـه عـالم التغـيرات .

اصبـح لـه مرسـم كبـير وتلاميـذ ، وذات صبـاح حـضر رجـل ومعـه طفـل صغـير لـه وجـه بيضـاوي وفي الثانيـة مـن عمـره وتوسـل اوليـاؤه للرسـام العظيـم أن يعلمـه ويدربـه ، كان ابـوه رسـاما وتعلـم كيـف يسـتخدم الرصـاص والفرشـاة ، كان الطفـل رفائيـل ماهـرا وذكيـا

ومحبوبا وقال بياترو كلمته : إنه تلميذي الآن ويوما ما سيصبح استاذي وسأتعلم منه .
كان بيروجينو جادا ومخلصا في عمله الذي نما وازدهر وتجاوز كثير من الفنانين الجدد ، ولكنه كان غيور من تلك الشخصية الجديدة التي اصبح لها قوانين فنية جديد ، ولقد تحدث بإسهاب عن بغضه للطراز الجديد وذات مرة دار بينه وبين الفنان الكبير مايكا انجلو شجار خطير .
اكتفى بالعمل على طريقته واسلوبه وغادر فلورنسا عائدا إلى بيروجيا لبيته وزوجته الجميلة تشاير التي جلبت له السرور وقام برسمها في العديد من الصور ، وكان يرسم في سنواته الأخيرة بنفس الجد ولكن الأيام الآمنة لم تستمر فقد عصف بالريف داء الطاعون الذي داهمه ومات ودفن باسرع مايمكن في حقل مفتوح تحت شجرة سنديان .

ليوناردو دافنشي ١٤٥٢ ـ ١٥١٩م .

المدينـة الصغـيرة فنـشي تبـدو مـن بعيـد كعـش طائـر متعلـق بالصخـور عـلى منحـدرات مونـت ألبانـو بـين فلورنسـا وبيـزا ، هنـا وفي العـصر الـذي كان النـاس يتنبـأون بالنجـوم ولـد في عـام ١٤٥٢م ليونـاردو ابـن السـيد بيـيرو دافنـشي ، طفـلا غريبـا في كل شيء حتـى في جمالـه كان لـه شـعر يرفـرف ويسـقط متموجـا كـماء في نافـورة مـن الحريـر بلـون الذهـب وعينـاه زرقـاوان كالزرقـة التـي تعلـو جبـال الجليـد ، كان مرحـا ضحـوكا محببـا للجميـع لكـن الجـدة مونـا لينـا التـي ربتـه دللتـه كثـيرا .

كان والـده محاميـا وحـاول ان يعلمـه بعـض الـدروس واكتشـاف مـا ينـاسـب الصبـي ، لكـن ليونـاردو كـره هـذه الـدروس ولم يستسـيغها حتـى بعـد إرسـاله للمدرسـة ، شـق عليـه تعلـم اللاتينيـة ، وشـق عليـه مسـايرة اقرانـه بالعابهـم الخشـنة والسـمجة .

اختـار لنفسـه مـكان بـين الطبيعـة يـرى مـن خلالـه كيـف تتحـرك الأغنـام بـين العشـب وكيـف تنسـج العناكـب خيوطهـا ومشـاهد الفراشـات والنحـل الطنـان والسـحالي والطيـور ، وراح يسـأل عـن سر القـوة في أجنحـة الطيـور ، هـذا هـو الـسر الخفـي الـذي مـن أجلـه أراد ان يتعلـم كل شيء في الطبيعـة وارتبـاط بتـلات الزهـرة عندمـا ينـزع منهـا واحـدة ، كل هـذا كان يوازيـه غيـاب عـن المدرسـة واتسـاخ وتمزيـق لملابسـه وإن كان دلال جدتـه لـه لـن يعفيـه مـن عقوبـة وجلـد والـده لـه الـذي قـرر ان يغلـق عليـه احـد الغـرف ليشـعر بالسـجن التأديبـي لكنهـا كانـت فرصتـه ليخلـو لنفسـه ولأسـئلته التـي يبحـث عـن إجابـات لهـا ، ووجـد ضالتـه في تعلـم الحسـاب وحـل العديـد مـن المسـائل التـي ادهشـت الاسـاتذة ، لقـد بـدا عقلـه تواقـا لطلـب النـور ولم يكتـف ولم يشـبع .

بـدأ حـب الموسـيقى يسـتولي عـلى قلبـه ، ولم يهـدأ حتـى نجـح في الحصـول عـلى آلـة العـود وتعلـم كيفيـة العـزف عليهـا وتعلـم النوتـة والقواعـد الموسـيقية والغنـاء ، وأصبـح لغـزا محـيرا للجميـع فبينـما يمسـك ثعبانـا أو عنكبوتـا ويبـدوا همجيـا تـراه رقيقـا ملائكيـا يغنـي .

وعندمـا بلـغ الثالثـة عـشر أخـذه والـده لفلورنسـا ليتـدرب عـلى عمـل مـا وكان الصبـي يتقـن أشـياء عـدة ومـن الصعـب أن يثبـت عـلى واحـدة منهـا ، ولعـل أغـرب مـا يمكـن ان

تعرفه عن ليوناردو أنه ذهب بنفسه ليطرق باب العالم الفلكي توسكانيللي حيث يسأله عما يريد فيجيب بكل ثقة : سأتعلم كل ما تستطيع أن تعلمني إياه .
كان بيير والد ليوناردو غير سعيد بكل هذا فهو يبحث للابن عن علم أو مهنة تدر عليه دخل ، ولذلك قرر ان يجمع رسومات ليوناردو المبعثرة والمشتتة هنا وهناك وذهب بها إلى الرسام فيروتشيو الذي تفحص الرسومات بعينين سريعتين وإهتمام عميق وقال : أرسله إليّ في الحال .. فإن لديه موهبة رائعة .
دخل ليوناردو المرسم وتعلم أشياء كثيرة، لكن فيروتشيو لم يعجبه الحالة التي يتنقل بينها الولد لم يكن كسولا ولكن يتنقل بين الرسم لعمل حيوانات من الطين والتفكير في سر الطيران ، وعندما اصر استاذة على ان يقدم عملا ويستكمل صورة امسك الفرشاة بيسراه وعمل على إنجازها بدقة وكانها كانت موجودة وهو يزيل عنها الغبار فقط .
وعندما خرج للطريق ووجد متجرا يعلق اقفاص الطيور وسأله ليوناردوا إذا كان يبيع تلك الطيور فقال : إنها قد تموت قبل ان يتمكن من بيعها فاشتراها منه جميعها واطلقها في الفضاء ، وهو يأمل ان تجود عليه يوما تلك الكائنات وتبوح له بسر الأجنحة ، والرجل ينظر إليه ليتفحص أي نوع من الجنون هذا .
وقصص ليوناردوا الجميلة حول تجاربة في الرسم على التروس والستائر الحريرية المذهبة وصناعة آلات الموسيقى ، وجاءته الفرصة للخروج من بلاط لورينزو لشعوره بضيق المكان ، ولانه ليس محبوبا عنده مثل فيليبينو ليبي وبوتشيللي .. عندما طلب منه لورينزو الذهاب إلى ميلان حاملا آلة العود التي صنعها ليوناردو لتكون هدية للودفتشو سفورزا دوق ميلان ، فانطلق ليوناردو وهو يشعر بالتحرر من الحياة الضيقة في المرسم الفلورنسي .
وقبل الإنطلاق إلى ميلان كتب خطابا للدوق يشرح فيه الأشياء التي يمكنه عملها (CV) في زمن السلم والحرب ،ويبدو أنه لا يوجد شيء لا يستطيع فعله ، علما بانه قد كتب الخطاب بطريقة عجيبة وهي من اليمين لليسار مثل الكتابة العربية وباليد اليسرى ولا تستطيع القراءة إلا عن طريق مرآة .
اندهش الدوق عندما وصله الخطاب قائلا : إما أن هذه الكلمات لعبقري أو مجنون !
افتتن كل من بالقصر بصاحب الوجه الجميل والعزف المنفرد والغناء العاطفي

الساحر ، وادرك الدوق أنه أمام شخص نادر وخصص له منزلا وراتبا يتسلمه سنويا ، ولم يعبأ ليوناردو كثيرا ان يكون لديه اشياء ثمينة أو مجوهرات وإنما ترتيب المكان ونظافته ومعطفه الأحمر الداكن تمشيا مع السائد لأهل فلورنسا كما كان لديه في الحظيرة بعض الجياد التي أحبها أكثر من أي كائنات آدمية .
اسند إليه الدوق العديد من الأعمال لاسيما عملين عظيمين هما العشاء الأخير على جدران قاعة الدرس في سانتا ماريا ديل جريز ، والآخر هو صنع نموذج لتمثال فارس يمتطي جوادا من البرونز وفي الخلفية صورة الدوق .
ظل ليوناردو يعمل بجد في لوحة العشاء الأخير من الفريسكو واحيانا ما ينصرف عن العمل لاسابيع أو شهور دون أن يلمسه ! ولكنه يعود ليعمل من جديد لأيام متواصلة ، وكذلك العمل في تمثال البرونز لأن عقله يعمل في المفتاح السري في علم وفن الطيران الذي ملك عليه روحه واحلامه وقدره .
ما ان اكتمل العمل في لوحة العشاء الأخير وقرب اكتمال التمثال اضطر الدوق للهرب قبل ان دهمه الجنود الفرنسيون الذين اقتحموا المدينة وتمركزوا فيها قبل ان يمنعهم أحد ، وبدأوا يطلقون مدافعهم على التمثال العظيم كهدف لمرمى اسلحتهم ، ووفي ساعات قليلة تم تدمير تمثال استمر العمل فيه لستة عشر عاما .
والأكثر ايلاما أن اعمال الفريسكو والصورة الأعظم اتلفتها الرطوبة بقتامة الالوان ، حتى ان الرهبان المهملين اخترقوا الجدار وصنعوا مدخلا في منتصف الصورة تماما، واستكمل العبث جنود نابليون باستخدام القاعة كإسطبل لخيولهم وتسلوا بالقاء الحجارة على ما تبقى من رسوم الحائط.
ولجأ ليوناردو في تلك الأوقات لزيارة صديقة جيرولامو ملزي وكان لصديقه والد اسمه فرانسيسكو يتيم الأم وكان معجب باعمال ليوناردو ومتعلق به جدا ، وفي يوم الوداع تعلق الولد برقبة الأستاذ وقال له : خذني معك ، لكن لوناردو قال الوقت غير مناسب وانت مازلت صغيرا، وبدأت حياة تسكع متعبة ، وقد عاش فترة في روما ولكنه انجز القليل ، وعاش بعدها لسنوات عدة في فلورنسا وبدأ يرسم صورة معركة ضخمة .. وهناك رسم لوحته الشهيرة الموناليزا، والتي يقول عنها النقاد أنها أروع وأكمل صورة على الإطلاق على الرغم من أن ليوناردو نفسه قال بأنها ليست كاملة ولم تنته بعد .
لقد ذهب كل تلاميذه ونسيه كل أصدقائه ، وذات ليلة عاصفة كان جالسا أمام المدفأة حزينا وحيدا عندما فتح الباب غلام طويل ووسيم انحنى راكعا وقبل يدى

الرجل المسن وقال :

ـ ألا تعرفني .. إنني فرانسيسكو الصغير ، جئت لتفي بوعدك أن أكون يوما خادمك وتلميذك .

تأسف ليوناردوا لحاله وقال انه لن يستطيع ان يفي بوعده فقد اصبح فقير يتجول هنا وهناك ، ولكن الفتى اصر على ان يبق معه ويشاركه احواله وييكون بصحبته إلى آخر الدنيا .

لذا فحين تلقى دعوة من ملك فرنسا الجديد أخذ الصبي معه وبنيا معا منزلهما في القلعة الصغيرة كلاكس قرب مدينة امبويز ، أضحى شعر الاستاذ فضيا ولحيته بيضاء كالثلج لقد خط الهم تجاعيد عميقة على وجهه الجميل وصاحبته الأفكار الكئيبة وبدا ان كلمة (فاشل) قد كتبت عبر حياته ، لقد انتهى تمثاله العجيب وتبقى من صوره القليل الذي لم يصل أبدا إلى مثله الأعلى حتى ميكل انجلو نفسه قال له ذات مرة بإحتقار إنه فاشل .

كان ليوناردو سعيدا أن غادر إيطاليا تاركا ذكرياتها خلفة على أمل يبدأ من جديد في منزله الهادىء الفرنسي ، ولكن الموت دنا منه وقبل ان تمضي سنوات قليلة أضحى أضعف من أن يمسك بفرشاة أو قلم رصاص ، وفي فصل الربيع حمله فرانسيسكو بيده القويتين ليلقي نظرة أخيرة عبر النافذة على العالم الذي أحبه بإعزاز وصاح بآخر كلماته :

أنظر ..؛ لقد عادت طيور السنونو ، إنها ستعيرني أجنحتها لعلي أطير بها بعيداً وأستريح !

رافائيل ١٤٨٣ ـ ١٥٥٦ م .

ولـد رافائيـل في قريـة أوربينـو الصغـيرة في أمبريـا ووالـده الرسـام جيوفـاني سـانتي ووالدتـه السـيدة الجميلـة ماجيـا التـي توفـت وهـو في سـن الثامنـة ، تـزوج بعدهـا والـده الـذي تـوفى هـو أيضـا بعـد ثـلاث سـنوات مـن وفـاة ماجيـا ، واصبـح المرسـم مسرحـا للمشـاحنات بـين العـم وزوجـة الأب مـن الصبـاح حتـى المسـاء ، ولم يعـيروا الصبـي اي اهتـمام وكان مـا يعنيهـما هـو النقـود في الوقـت الـذي اهمـل تدريـب رافائيـل تمامـا .

جـاءت المسـاعدة مـن الخـال سـيمون دي سـيارلا الـذي أتى للعنايـة بابـن شـقيقته وفي الحال أخـذ الطفـل إلى بيروجيـا ، واخـبره بانـه سـوف يتلقـى تعليمـه في مرسـم الفنـان الأشـهر ، فسـأل رافائيـل وعينـاه تشـعان بالفرح : هـل سـأصبح تلميـذا لبيروجينـو العظيـم ؟!!

ـ سنرى إن كان يستطيع قبولك .

مـرت بيروجيـا بأوقـات عصيبـة قبـل هـذا الآوان لـصراع بـين الاسرتـين الأكـبر أودي وباجليوني لتحديـد ايهـم الأقـوى والأحـق بالبقـاء والحكـم وتطـرد الأخـرى ، وأصبـح الريـف الآمـن مقفـراً وخربـاً .

جـاءت لحظـات مـن الأمـن والسـلام سـنحت لرجـال مثـل بيروجينـو لـكي ينجـزوا اعمالهـم . الـذي يبـدأ مـن الصبـاح إلى الليـل ولقـد احـب بيروجينـو رافائيـل وكان دائمـا يقـول وهـو يرقبـه يعمـل :

إنه تلميذي الآن ولكنه سرعان ما سيصبح إستاذي .

ولم يبخل الاستاذ بإسداء النصح لتلميذه الذي علمه بكل عناية ممكنة :

« تعلـم مـن الجميـع كيـف ترسـم ، أرسـم كل مـا تـراه ، لا يهـم مـا هـو ، لكـن أرسـم وأرسـم ، البقيـة سـتأتي فـإذا مـا غابـت المعرفـة فلـن ينجـح شيء ، أحتفـظ دومـا بكتـاب الرسـم في يديـك وارسـم بعنايـة كل مـا تقابلـه عينـاك » .

اسـتمع لنصائحـه وتتبـع خطواتـه حتـى بـدت لوحاتـه قريبـة الشـبه مـن لوحـات اسـتاذه ، ولكـن الأيـام الهادئـة في بيروجيـا أوشـكت عـلى الإنتهـاء ؛ فعـاد بيروجينـو إلى فلورنسـا.. وعمـل رافائيـل لبعـض الوقـت في أماكـن مختلفـة بالقـرب مـن بيروجيـا ثـم تبـع اسـتاذه لمدينـة الزهـور ، وعـلى الرغـم مـن انـه مـازال شـابا فلقـد بـدأ العـالم بالفعـل يلحـظ أعمالـه . وكانـت شـهرة ليونـاردو في أوجهـا وعندمـا عرضـت اعمالـه عـلى رافائيـل عقـدت لسـانه

دهشـة واعجابـا، وغاصـت روحـه تبحـث في اسرار ابداعـات ليونـاردو وقلـل ذلـك مـن تشـابه اعمالـه وتقاربهـا مـع أعـمال اسـتاذه .
وسـوف تـرى رسـوماته في رومـا مـن الفريسـكو متنوعـة ورائعـة رسـم عـذراء الحسـون الأصفـر والعـذراء مرجريتـا ، هاتـان فحسـب كانتـا مـن الصـور التـي رسـمها رافائيـل ، ومـن الجيـد أن تفكـر كـم عـدد اللوحـات التـي عمـل عليهـا وتركهـا تراثـا الفنـان رافائيـل خـلال حياتـه القصـيرة حيـث إنـه مـات وهـو بعـد في السـابعة والثلاثـين مـن عمـره .!!!

انتابتـه قشـعريرة عنيفـة قضـت عليـه واجتمعـت رومـا كلهـا في جنازتـه وحـزن لفقـده كل النـاس ولكنـه تـرك شـهرة لا تمـوت وراءه أبـدا واسـما لم يفقـد عظمتـه أبـدا عـبر كل السـنين .

مايكل أنجلو ١٤٧٥ ـ ١٥٦٤ م .

عندما تتذكر مصطفى حسين بين الرسامين تشعر بانك أمام عملاق أو مصارع ، وجسد فارق بين الموجودين ، وفي حياتي رأيت عمالقة مميزين باجسادهم وأعمالهم أيضا ، ولذلك كان المشهد من خلال زحام الرسامين عبر طريق الشهرة نرى عملاقا قويا أشعث هو مايكل أنجلو .

ولد مايكل أنجلو يوم احد في كابرس بين جبال كاسنتينو ، وكان والده لودوفيكو بوناروتي عمدة كابرس وينحدر من أسرة شريفة تميزت بخدمتها لمدينة فلورنسا، واصر والده ان يسمي ابنه باسم رئيس الملائكة .

عند انتهاء العمل الوظيفي عاد لودوفيكو مع زوجته وطفله إلى فلورنسا في أملاك له بقرية سيتيجنانو خارج المدينة حيث استقر هناك ، وقد ارسل الصغير إلى زوجة أحد العمال لتعتني بتربيته ، وكان حبه للنحت وللأحجار نابع من التأثير غير المتعمد من مربيته زوجة النحات ، وبينما هو يكبر لم ينشغل سوى بقلمه الرصاص وكان يبدو أميا و حاول معه والده ان يتعلم تجارة الحرير والصوف ويتعلم كيف يجني الأموال ولكنه لم ينجح ، وكان يبدو عبثيا غير انه كان يغبط صديقه فرانسيسكو الذي يعمل بمتجر الاستاذ غراندايو ، وكانت فرحته عظيمة بقصص المرسم ورؤية بعض الرسومات الي يعرضها عليه فرانسيسكو .

وشيئا فشيئا أدرك لودوفيكو أنه لا فائدة من محاولاته مع ابنه .. وحين بلغ مايكل أنجلو الرابعة عشرة من عمره أرسل إلى مرسم غرلاندايو كتلميذ ليتعلم على يديه .

في نفس التوقيت الذي يقوم غرلاندايو برسوم الفريسكو لكنيسة سانتا ماريا نوفيلا ولقد تعلم مايكل انجلو الكثير من الدروس وهو يراقب استاذه حتى انه يساعده في الأعمال الأقل أهمية ، ولم يكن من اللائق أو السار لاستاذه الفلورنسي الكبير الذي أعجب الناس بأعماله أن يصحح له غلام صغير، وربما لم يكن مايكل أنجلو متواضعا معه كما يجب وكان يطلق بعض الكلمات الحادة ناسيا إحترامه لاستاذه .

وهكذا ترك مايكل أنجلو مرسم غرلاندايو وهو في السادسة عشرة ولم يكن له أستاذ آخر ، ومنذ ذلك الحين اعتمد على أفكاره الخاصة ولم يصبح تلميذا لأحد .

لم يعمل مايكل انجلو بالأزميل من قبل ولكنه نحت الرخام ببراعة مقلدا رأس

للإلـه فـون إلـه الحقـول عنـد الرومـان وكانـت نسـخة أدهشـت لورينـزو وقـال لـه مازحـا ان القدمـاء لم يهتمـوا باسـنانهم بهـذا الشـكل الجميـل ، فامسـك مايـكل بالازميـل وراح يكـسر بعـض الأسـنان .
لم يحـظ مايـكل أنجلـو بالـثروة فحسـب لكـن ادهشـة أن والـده وجـد أيضـا مـن الفوائـد والمزايـا قـد انهمـرت عليـه لأجـل ابنـه الصغـير الشـهير ، كـما تعلـم الكثـير مـن احتشـاد الرجـال اصحـاب الخـبرة الذين احتشـدوا في بـلاط لورينزو ، واسـتمع أولا للخطبـة العظيمة الي القاهـا سـافولا رولا في ديومـو والتـي لمسـت شـغاف قلبـه والتـي تركـت صداهـا كالرعد عـلى سـقف كنيسـة سسـتين .
وكسـار الفنانـين ذهـب ليـدرس فنـون الفريسـكو عنـد ماساتشـو في كنيسـة كارمـن وكانـت هنـاك فرقـة موسـيقية شـابة كانـوا ينظـرون لـه بحسـد وزادت غيرتهـم مـع زيـادة شـهرته و لكمـه شـاب منهـم يدعـى توريجيانـو في انفـه وسـبب لـه عاهـة ، وكان مايـكل انجلـو طلـة خشـنة وقـد منحـه الأنـف الملتـوي تعبـيرا قاسـيا لـن يغـادره أبـدا .
بعـد مـوت لورينـزو لم يسـتطيع التأقلـم للحيـاة في بـلاط بيـيرو، وحـين بـدأ القتـال تـرك فلورنسـا وذهـب إلى فينيسـيا ثـم إلى بولوجونـا وعـرف مـن هنـاك بخـروج بيـيرو وان المبـشر سـافونا رولا صمـت للأبـد ، ثـم مـلأ الشـوق قلبـه إلى مدينتـه المحبوبـة فلورنسـا .
حـان العمـل في كاتدرائيـة سـان مـاري لعمـل زهـور عـلى قالـب ضخـم مـن الرخـام ولم يسـتطيع احـد الفنانـين المتواجديـن للتقـدم للنحـت إلا مايـكل أنجلـو الـذي سـاقه عقلـه لنحـت تمثـال الصغـير ديفيـد .
ودارت النقاشـات حـول العمـل المدهـش ، وقـال احـد النقاد : يبـدو لي أن الأنـف أكـبر مـن أن يناسـب الوجـه .. ألا تسـتطيع تغـيره ؟!
لم ينطـق مايـكل أنجلـو بكلمـة ولكنـه تسـلق السـقالة وتظاهـر بنحـت الأنـف وتـرك بعـض قطـع الرخـام الصغـيرة وبعـض الـتراب يتسـاقط عـلى رأس الناقـد في الأسـفل ثـم هبـط قائـلا بشـجاعة : هل ذلـك أفضـل ؟
فأجابه الفنان الناقد : بديع .. لقد منحتها الحياة .
ابتسـم مايـكل أنجلـو لنفسـه ، كـم يعتقـد الحكـماء مـن النـاس في انفسـهم .. حـين لا يعلمـون شـيئا عـما كانـوا يتحدثـون عنـه.
كثـيرة هـي الأعـمال التـي لم ينتهـي منهـا مايـكل انجلـو إمـا لمـوت عمـلاؤه أو بغـير العميـل رأيـه بعـد أن جعلـه يبـدأ العمـل ، ولم تتـم المقـبرة الكبـيرة التـي أمـره البابـا

يوليـوس بالعمـل فيهـا ، وقـد غـير رأيـه وطلـب منـه رسـم سـقف كنيسـة سسـتين ، ولم تكـن المهمـة التـي تعهـد بهـا سـهلة ، إن مجـرد النظـر إلى السـقف لمـدة عـشر دقائـق يـؤلم الـرأس والرقبـة .. ونتعجـب عـن كيفيـة الانتهـاء مـنر قطعـة واحـدة منهـا في الوقـت الذي لم يتقبـل الاسـتاذ أي مسـاعدة ولم يكـن لـه تلاميـذ ؛ وقـد عمـل بمفـرده ، ولم يتحمـل أن يـراه أحـد وهـو يعمـل ولم يجـرؤ إلا البابـا يوليـوس أن يزعـج الاسـتاذ ووحـده تسـلق السـقالة وشـاهد العمـل .

وكان البابـا متعجـلا لانهـاء العمـل في الوقـت الـذي لم تنتهـي الرسـومات تمامـا خاصـة عـلى الجـدار الأخـير .

عـاش مايـكل أنجلـو حتـى أصبـح مسـنا وكانـت حياتـه منعزلـة حتـى وفاتـه ، والمـرأة الوحيـدة التـي أحبهـا فيتوريـا كولونـا ماتـت وبموتهـا خفتـت كل بهجتـه ومـات في رومـا وحمـل جثمانـه إلى فلورنسـا ودفـن في كنيسـة سـانتا كـروز .

أندريه ديل سارتو ١٦ يوليو ١٤٨٦ ـ ٢١ يناير ١٥٣١ م

عندما تصادف حكاية من الحكايات تروى عن شخص تتكون عندك قناعة بمتابعة هذه الشخصية حتي لو تبين لك أنها قصة اختلقها الناس ، وتلك حكاية أجنولو الحائك ـ الخياط ـ الذي يهمس بها البعض أنه ليس إيطاليا وانما اجنبيا أضطر للفرار من موطنه بسبب شجار شب بينه وبين أحد زبائنه .

وقد تزيد الحكاية ببعض البهرات الكلامية عن كيفية استخدامه المقص كسلاح للقتل ، تلك الحكايات تلاشت وعاش الرجل مع زوجته كونستانزا حياة سعيدة اعتنوا أيضا بتربية أطفالهم الستة .

الخمسة تشابهوا في كل شيء لكن السادس كان حادا وسريعا وتعلم القراءة والكتابة قبل ان يتم السابعة من عمره ، ثم أخذه والده من المدرسة ليعمل عند صائغ الذهب ، صحيح كان من المبكر ان يبدأ أندريه العمل في هذه السن ولكنه كان يزاولها كأنه يلعب طالما يستطيع أن يمسك القلم الرصاص ويقوم بالرسم ، وإلى جوار الصائغ كان يوجد فنان مسن يسمى باريل وهو ليس فنانا كبيرا ولكنه أبدى اهتماما بأندريه الصغير ، وهو تواق ان يتتلميذ على يديه ، وبالفعل عمل أندريه لثلاث أعوام متواصلة مع استاذه الجديد والذي ادرك ان اندريه يحتاج إلى تعليم أفضل مما سيعطيه هو نفسه ، فذهب إلى الرسام الكبير بييرو دي كوزيمو وطلب منه أن يقبل أندريه كتلميذ،

في البداية لم يتصور كوزيمو ان الإطراء الذي سمعه عن أندريه من باريل هو مجرد تشجيع ولكنه بعد أن راقب عمل أندريه أصبح مغرما وفخورا بتلميذه تماما كما فخر به أستاذه القديم .

وكبر أندريه وبدأت فلورنسا كلها تلحظ الرسام الشاب أندريه ديل سارتو كما كان يسمى أو ـ أندريه ابن الحائك ـ وقد اطلقوا عليه الفنان الكامل لفرط اعجابهم به والتي غطت شهرته على رافائيل ، وبعد ان أنشأ مرسمه وعمل مع شاب زميل له يعملان سويا بجد ومرح منفتحين على الحياة .

الجميع اعجب باندريه ولم يجد الغيرة من أحد للطفه ومجاملته ، غير أنه وقع في غرام وجه جميل تحمله لوكريزيا التي افتتن بها ، وحاول كل من يعرفه أن يثنيه عن

التقـرب إليهـا ولكـن دون جـدوى فقـد تزوجهـا وهـو يظـن أنهـا بهـذا الوجـه الجميـل ووجودهـا بجـواره سـوف يبـدع أجمـل واروع الصـور ، ولكنهـا سـليطة اللسـان التـي لا تهتـم بصـوره ولا لوحاتـه إلا إذا تـم بيعهـا واخـذت الأمـوال لهـا ولعائلتهـا ، ولم تعـد تطيـق الجلـوس طويـلا أمامـه ليرسـمها .. فـإن هـذا الجـمال المتكـبر يريـد المـال ليـس إلا ولذلـك كانـت تقـول لـه يجـب ان ترسـم اسرع مـن ذلـك ، بطبيعـة الحـال مـن اجـل فسـاتينها ومجوهراتهـا التـي تـزداد في حـين الـروح والجـمال بـدأ يقـل في أعمالـه ، وجاءتـه دعـوة مـن ملـك فرنسـا ليذهـب إلى فرنسـا ويدخـل في خدمـة الملـك في الوقـت الـذي كان محبطـا وفاقـد الأمـل فلـم تمنحـه لوكريزيـا الأمـان .

اسـتقبل اسـتقبال يليـق بأمـير في البـلاط الفرنـسي واغـدق عليـه الملـك بالهدايـا والملابـس والنقـود ، بـدأ في رسـم بورتريـه الطفـل دوفـين ، ومـرت الشـهور تباعـا وهـو يرسـم وسـعيدا ومنطلقـا حتـى كان اليـوم الـذي ارسـلت لـه زوجتـه بانهـا تشـتاق لوجـوده معهـا وإن لم يعـود الآن فأنـه لـن يجدهـا عـلى قيـد الحيـاة .

ولم يرغـب الملـك في رحيلـه لـولا أنـه وعـده بالعـوده بعـد اشـهر ، فأعطـاه الملـك مبلغـا كبـيرا لينتقـي لـه مـن نفائـس اللوحـات الإيطاليـة ويشـتريها لـه ويحملهـا معـه عنـد عودتـه ، ولكنـه لم يسـتطيع أن يفـي بمـا وعـد بعـد ان اسـتولت لوكريزيـا عـلى كل النقود وراحـت تنفقهـا ، واسـتمر اندريـه في العمـل رغـم ان القتـال اشـتعل في فلورنسـا ولكـن هـذا لم يجعلـه يتوقـف عـن الهمـل في مرسـمه الهـادىء في محاولـة يائسـة ان يجمـع النقـود ليشـتري للملـك مـا وعـده بـه . ولكـن الحـروب يـأتي معهـا غالبـا عـدوا خفـي وهـو الطاعـون الـذي أصيـب بـه أندريـه نتيجـة عـدم تناولـه للطعـام الجيـد ، وتركتـه لوكريزيـا وهـو في هـذه الحالـة وخافـت عـلى نفسـها مـن المـرض في الوقـت الـذي فـرح بنجاتهـا فقـد احبهـا حبـا عظيـما خـالي مـن الأنانيـة ومـات فـارس الفـن الجميـل .

آل بيلليني

جنتايل بيلليني ١٤٢٩ ـ ١٥٠٧ م

جيوفاني بيلليني ١٤٣٠ ـ ١٥١٦ م

ما سبق من قصص حياة الفنانين دارت وحلقت حول فلورنسا ، ولكن القصص التالية بعيدة عن مدينة الزهور إلى قلب ملكة البحر فينيسيا حيث لا يوجد هنا أرصفة .. الماء فحسب الذي يلف جدارن قصورها الرخامية البيضاء وكأن حوريات البحر قد قمن ببنائها، ورغم ان فينيسيا ليس لها مروج خضراء وأزهار إلا أنها تشبه المدينة الحلم تبدو متفردة عن مدن العالم ولم تقع كاتدرائيتها سان ماركو تحت سيطرة روما قط .

حكامها كانوا يحكمون كملوك يعشقونها ويجلبون لها كل ماهو ثريا ونادرا ورائعا، ولذلك كان لفنانينها الذين عاشوا فيها اسلوبهم الخاص ، الامتداد المائي الوسيع أمام أنظارهم تثبت في قلوبهم نور وجمال من نوع خاص .

في الوقت الذي عاش فرا فيليبو ليبي يرسم في فلورنسا .. عاش في فينيسيا جاكويو بيلليني الرسام الذي كان له ولدان جنتايل وجيوفاني علمهما بعناية ودربهما بأقصى ما في استطاعته حيث تاق أن يجعلهما رسامين عظيمين لم ينسى النصح لهم ، ورغم انهما تعلما التنافس والتفوق فيما بينهما ظلا أفضل صديقين .

كانت فينيسيا تعتمد في حياتها أيضا على التبادل التجاري عن طريق السفن المبحرة هنا وهناك وضمن أحد الرحلات المتجهة لتركيا حملت السفن صورا رسمها جيوفاني بيلليني ، وعرضت على السلطان التركي الذي اندهش وابتهج لها جدا، وكما هو السائد عند كثير من الناس ان الدين يمنع التي بها ارواح ، السلطان لم يعر لذلك أهمية وأرسل رسولا إلى فينيسيا راجيا الرسام بيلليني الذهاب إلى تركيا في الحال .

لم يشأ حكام فينيسيا أن يسمحوا لجيوفاني حينها، ولكنهم سمحوا لجنتايل بالذهاب حيث أنتهى عمله في قصر الدوق ، وعندما وصل جنتايل إلى بلاط السلطان على متن أحد السفن التجارية استقبل استقبالا حافلا وعاش كأمير ملكي هناك ، رسم ا لعديد للبورتريهات للسلطان ولنفسه وقد أحيط بالهدايا والعطايا ، ولكنه وقع في محظور الجدال حيث رسم صورة لابنة هيروديا س الراقصة وفي يدها رأس يوحنا المعمدان واحضرها للسلطان وقدمها إليه ، وكعادة الكبار مهما افتتنوا بالشيء فلابد

ان تكـون لهـم كلمـة ، حيـث قـال لا تبـدو الـرأس في وضعهـا الصحيـح كـما في صورتـك ، فأجـاب جنتايـل بلطـف أنـه لا يرغـب في مخالفـة جلالتـه ولكـن يبـدوا أن الـرأس في موضعهـا الصحيـح .

قـال السـلطان بهدوء : سـنرى ! ودون ان يحتدم النقاش كما جاء في رواية المؤلفة التـي بالغـت فيهـا كثـيرا خـاف جنتايـل عـلى نفسـه وانسـل بهـدوء بعيـدا وعـاد إلى فينيسـيا مـع أقـرب سـفينة ممكنـة ، في ذات الوقـت كان جيوفـاني قـد أصبـح أكـبر رسـام في فينيسـيا والاول في مدرسـة الفـن الفينيـسي التـي انتجـت الألـوان الرائعـة ، لم يأبـه جيوفـاني برسـم قصـص تاريـخ فينيسـيا كـما يفعـل جنتايـل ، واهتـم بالرسـم الفـردي للقديسـين وإلى جانـب صـور القديسـين قـد رسـم جيوفـاني بورتريهـات لمعظـم كبـار وعظـماء فينيسـيا.

ظـل الأخـوان يعمـلان معـا ولكـن المـوت ابعـد أكبرهـم سـنا ليـترك جيوفـاني وحيـدا ، ورغم أنـه أصبـح مسـنا جـدا فقـد عمـل بجـد أكـثر مـن ذي قبـل وبـدلا مـن أن تضعـف يـده صـارت أقـوى وأكـثر مهـارة ، كان في التسـعين حـين مـات وظـل يعمـل حتـى النهايـة ، وقـد دفـن الأخـوان في كنيسـة سـان جيوفـاني إى بولـو في قلـب فينيسـيا .

فيتور كارياتشيو ١٤٦٠ ـ ١٥٢٥ م

مثل سائر الفنانين الكبار كان لـ بلليني تلامذة يساعدوا استاذهم ويتعلمون منه ، من هؤلاء التلاميذ فيتور كارياتشيو الذي كان من الذكاء ان تعلم سريعا وإن كان تأثير استاذه على أسلوبه ظل معه وظاهر بأعماله ويبدوا ان الفتى كان فضوليا فما ان علم ان هناك إجازة وسوف يقام مهرجان حتى انسل من باب المرسم وتحرك بين الطرقات والجسور التي تربط الأنحاء حتى الشارع المائي الكبير وبالقرب من برج ريالتو راح يراقب الاحتفال والبهجة التي عمت المكان من ملابس زاهية على أجساد الجميلات وطيور في اقفاصها وشرفات تتدلى منها قطع السجاد والستائر الحريرية ، والقوارب التي اكتسحت الطريق المائي ، كل ذلك صنه صورة زاهية لا ينساها الفتى أبدا.

وبعد انتهاء المهرجان أخذ كارياتشيو طريقه إلى المرسم وحاول أن يرسم المشهد الجميل الذي مثل أمام عينيه ـ يوما بعد يوم ـ بكل تفاصيله كما رآه تماما ، ومعظم لوحاته التي رسمها منذ ذلك الوقت هي القصص الذي وجدت مكانها في ذاكرته وتلك المشاهد الزاهية بكل تفاصيلها .

كما اوضحت أن كارياتشيو اعتمد في صوره التي يرسمها مشاهد وملامح يذكرها ، ولكن توجد بعض الصور في كنيسة قديمة يقال انها من رسمه حين كان طفلا في الثامنة من العمر ، وهي مشاهد مأخوذة من قصص التوراة ، قد تكون مرحة ولكنها تبرز مهارة يديه وعقله المفكر ، حيث حضور فينيسيا في المشاهد مع السفن التجارية وجسورها الخشبية الصغيرة ، وكان هناك العديد من البحارة الأجانب الفقراء والمرضى ولا يجدوا من يأويهم أو يطعمهم ، لذا اتجه بعض الأثرياء الأجانب للرهبنة حيث وجد البحارة المساكين من يساعدهم ، هؤلاء الرهبان اختاروا القديس جورج كحام وولي لهم ، وحين بنوا كنيسة صغيرة دعوا إليهم كارياتشيو ليرسم جدرانها بصور عن حياة القديس جورج وقديسين آخرين .

ولم يجد كارياتشيو أنسب من ذلك وراح يعمل ببهجة عظيمة ، فمازالت تلك القصص تستهويه منذ الطفولة .

هنا نجد المؤلفة تسهب في شرح الصورة بالتفصيل واهمية هذا القديس ومن معه

داخـل الصـورة وكأنهـا تقـرأ مـن الإنجيـل ولا تعـير الفنـان أي إهتـمام ولم نعـرف بعـد ذلـك عـن حياتـه أي شيء زواجـه أو موتـه التـي حددتـه في بدايـة الحديـث عنـه بانـه عــاش   حتى الخامسة والســتون وربما لم تتحصل إلا على صورة وحيدة من اعمال ال كانفس من معرض الاكاديمية / فينيســيا   تمثــل   اسطورة حلم أرســولا .

جيورجيون ١٤٧٧ ـ ١٥١٠ م

عندما نسترجع سيرة حياة الفنانين الكبار ، نرى كيف أضاف كل واحد منهم صفحة جميلة في تاريخ الفن وبسط الجمال النقي لعيون العالم ، وإن كان البعض منهم يغرد وحده خارج السرب ويصنع لنفسه خطا ونمطا يميزه دون أقرانه ومنهم جيورجيون .

ولد جيورجيون بارباريللي في قلعة فرانكو وهي مدينة صغيرة قرب فينيسيا التي ارسل إليها ليتدرب على يدي الفنان الشهير بيلليني ، جيورجيون هذا الفتى الوسيم ذا هيئة ملكية حتى أن رفاقه منحوه لقب جيورجيون أو جيورج الأكبر وعلق به اللقب بينما طوى اسم العائلة طي النسيان ، كان مفرطا في حب الموسيقى والشعر والغناء بكلماته والحانه وبالعزف على آله العود ، وكان الرسم من أروع الأشياء التي كان يجيدها .

عرف الناس هذا الشاب كفنان تم توظيفه في مدينة فينيسيا ليرسم الجدران الخارجية للبورصة الألمانية بالجص وتسببت الريح والمطر وهواء البحر المالح في تدمير رسوم الجص هذه الآن ، واصبح وجود رسوماته من الندرة في اكاديمية فينيسيا ومنها صورة لاسطورة تدور حول عاصفة مرعبة رجت البحر وهزت المدينة .

وهنا تقص علينا مؤلفة الكتاب عن قارب صغير ركبه أحد الناس وطلب من الصياد داخل القارب أن يحمله لمكان بعيد وسوف يجزل له الأجر ، ورغم الأمواج المرتفعة والخوف من الآتي تحرك الصياد حتى وصل للمكان فترك الرجل القارب وطلب من الصياد الإنتظار ، ثم عاد بعد قليل ومعه شخص آخر وانطلقا لمكان أكثر بعد فاعترض الصياد فكيف له وقد جاء يجدف بمجداف واحد أن يأخذهم إلى هذا المكان البعيد ولكنهم قالوا طالما تهيأت لك القوة بالمجداف الواحد عليك ان تتحمل باقي المشقة وسوف نجزل لك العطاء ولم وصل للمكان دخل معهم للقارب رجلا مسنا وطلبوا منه الثلاثة الإنطلاق لعمق البحر المفتوح وسط تلاطم الأمواج والريح التي لا تهدأ ولكن القارب ابحر حتى وصل إلى سفينة سوداء كبيرة

مأهولـة بعفاريـت مـن الجـن الأسـود منظرهـم مخيـف وكانـوا في طريقهـم إلى مدينـة فينيسـيا .
انتصـب ركاب قـارب الصيـاد الثلاثـة ورفعـوا ايديهـم وقـد رسـموا عـلى أنفسـهم علامـة الصليـب وطلبـوا مـن الجـن مغـادرة المـكان وأن يذهبـوا حيـث أتـوا، هـدأ البحـر وصرخ الجـن صرخـة مرعبـة ورحلـوا في سـفينتهم السـوداء واختفـوا تمامـا، فأمـر الرجـال الصيـاد بالعـودة ، واوصلهـم إلى أماكنهـم وزنتظـر مـن الأخـير أن يعطيـه أجـره فلـم يفعـل ، ثـم قال : أنـت عـلى حـق إذهـب إلى الـدوق وقـص عليـه مـا حـدث .. أنـا القديـس مـارك والفـارس الشـاب هـو القديـس جيـورج ، والرجـل المسـن هـو القديـس نيكـولاس .. إذا أخـبرت الـدوق سـوف يجـزل لـك العطـاء .
فسأل الصياد : ولكن إذا أخبرتهم هذه القصة فكيف سيصدقونني ؟
أخرج القديس خاتما من إصبعه ووضعه في راحة يد الصياد الخشنة قائلا :
سـوف تريهـم هـذا الخاتـم كبرهـان وحـين ينظـرون إلى كنـز سـان ماركـو سـيقطنون أنـه فقـد مـن هنـاك ، وحـين انتهـى مـن حديثـه أختفـى .
باقـي القصـة متوقعـة كـما جـاءت مـن خـلال السـرد وتسـلم عطـاء مـن حـكام المدينـة وعـاش في رغـد بقيـة حياتـه .
ولكـن حيـاة جيورجيـون وهـي الأصـل في تلـك السـطور غـير أنهـا قصـيرة وحزينـة تحـوم عليهـا علامـات الأسى والمـرار ، فقـد أحـب فتـاة فينيسـية جملـة وأوشـك عـلى الإقـتران بهـا حـين سـلبها منـه صديـق لـه وتركـه مسـلوب الحـب والصداقـة ، وبعدهـا اختفـى الجـمال مـن عينـه .

تيتيان ١٤٢٧ ـ ١٥١٠ م

عرفنا من خلال بعض قصص كبار الرسامين مدى حبهم لتصوير المشاهد العالقة بذاكرتهم منذ أيام الطفولة ، كل واحد منهم قد تعلق بصورة يدفعه الحنين لرؤيتها منهم من لم ينسى قطيع الغنم ومنعم من يتذكر السماء والأزهار والفراشات ، وحين نأتي إلى الرسام الفينيسي الكبير تيتيان الذي ولد في مدينة كادور الصغيرة على بيف وعند أقدام جبال الألب على بعد ثلاثة أيام من فينيسيا نعلم هنا مدى تأثير الطبيعة التي انعكست على عقله وهو لم يزل بعد صبيا ، في كل ناحية ترتفع أكوام من جبال ضخمة ترتفع نحو السماء بقمم رائعة وعجيبة وغير مستوية تطفو الغيوم حولها ويلفها الضباب ، فلا عجب ان نراه يرسم الجبال الشواهق ومناظر طبيعية ارجوانية.

كان والده جريجورو فيسيلي واحد من نبلاء كادور ولكن أسرته لم تكن ثرية ، وعندما بلغ تيتيان العاشرة أرسل إلى عمه في فينيسيا ليتعلم التجارة لكنه كان مغرما بالرسم ، ولما رأى عمه أنه ولد موهوب وضعه في مرسم جيوفاني بيلليني ، ورغم أنه تعلم الكثير من بيلليني غير أنه بدأ يرسم بثراء لوني كبير جعل اسمه يلمع بين الفنانين واشترك في البداية مع جيورجيون في رسم جدران البورصة على جسر ريالتو .

ومع الأيام بدأت تدب الغيرة في قلب جيورجيون حيث امتدحت أعمال تيتيان بشكل كبير وبدأت فينيسيا تستيقظ على سطوع نجم الفنان تيتيان الذي جلب الشهرة والمجد للمدينة الجميلة .

حين توقف الأمبراطور تشارلز عند بولوجنا ارسل إلى فينيسيا لإحضار تيتيان واعجب بعمله جدا ونصبه فارسا له معاش مئتا ريال انجليزي ، واضحت الشهرة والثروة في انتظاره أينما ذهب ، ولم يمض وقت طويل حتى دعي إلى روما ليرسم بورتريه للبابا ، وقد التقى هناك بمايكل أنجلو الذي نظر إليه بعين الإهتمام وأثنى عليه وعلى تلوينه ، ثم قال لصديق له : إنها الأجمل ولكن للأسف في فينيسيا لا يعلمون

الرجـال كيـف يرسـمون مثلـما يعلمونهـم كيـف يلونـون ، فلـو ان تيتيـان يرسـم مثلنـا لـكان مـن المسـتحيل أن يفوقـه أحـد .

وامتـد التوهـج كتعويـذة سـحر عـلى معظـم أعـمال وصـور وبورتريهـات لهـذا الفنـان الفينيـسي الكبـير ، وقـد أحـب الأطفـال وتعلـم كيـف يراقبهـم وهـم يلعبـون ، ومنهـم ابنتـه لافينيـا التـي كانـت ضيـاء عينيـه ، لقـد توفـت زوجتـه وكان حزنـه الوحيـد بسـبب ابنـه الـذي خيـب آمالـه .

عـاش تيتيـان مـا يقـرب مـن مائـة عـام حتـى أصبـح مسـنا وظـل ظاهـرا حتـى نهايـة عمـره وفرشـاته في يـده يرسـم صـورا جيـدة ، وعندمـا رحـل تـرك مخزونـا مـن الجـمال جعـل العـالم أغنـى وأكـثر جـمالا .

تينتوريتو ٢٩ سبتمبر ١٥١٨ ـ ٣١ مايو ١٥٩٤م

كما ان سنغافورا اصبحت الاسم الأكثر شهرة وبريقا في عالم الموانى والتجارة في أيامنا هذه ، فإن فينيسيا من اربع أو خمس قرون قد اعتلت عرش مملكة البحر وأصبحت سيدة التجارة والصناعة ، لقد هبت من صدمة الحرب وابحرت سفنها إلى كل الموانى محملة بالحرير والقطيفة والدانتيلا والأصباغ خاصة الأرجواني .

لقد تعلموا أهل فينيسيا فن النفخ في الزجاج وتشكيله ، كما وصل فن الرسم إلى أوج عظمته وقد بدأ جيورجيون وتنتوريتو يرسمان قصورها ومحاريب كنائسها .

في وسط مدينة فينيسيا حيث بيوت الفقراء المعدمين عاش باتيستا رويستي الصباغ وهو والد جاكو الذي عرف باسم تنتوريتو أي الصباغ الصغير ، كانت الألوان تخاتل ناظريه كل حين وهي تبرق وتلمع مع الاقمشة ، وعندما صار رجلا علمنا من رسوماته مدى تقديرة للألوان الوقورة والداكنة ، وتعلم ان يرسم جدران بيت أبيه بالطبع وربما يفعل ذلك كل طفل ، ولكن أصابع تنتوريتو الصبيانية أظهرت علامات الموهبة ، ولم يعنفه والده بل شجعه .

كان تيتيان الفنان الأعظم في العالم في نظر تنتوريتو وكانت أقصى أمانيه أن يتعلم على يديه ، وكان أسعد أيام حياته يوم قرر والده أن يأخذه إلى مرسم تيتيان ويطلب إلى الاستاذ أن يقبله كتلميذ ، ولكن السعادة لم تدم طويلا حيث لم يقبل تيتيان بعمل الولد ورفض ان يحتفظ به في مرسمه ليعلمه ، وشعرت العائلة بخيبة الأمل إلا أن الحلم لم تخبو جزوته في قلب الفتى وراح يعمل من خلال أعمال تيتيان ويتعلم منها ، وكذلك تعلم دروسا من أعمال مايكل أنجلو واصبح مايكل انجلو مثله الأعلى في الرسم وتيتيان في التلوين .

عاش الفنان الشاب في حجرة بسيطة وفقيرة ، ولقد أنفق معظم أمواله في شراء التماثيل والسبائك ، وكانت له طريقة عجيبة في تجميع النماذج من الثماثيل الصغيرة والشمع ويرتبها في صندوق من ورق مقوى أو صندوق خشبي به فتحة ليدخل شمعة مضاءة به ، وبجانب تجميع الأشكال كان يهتم بترتيب الضوء والظل .

ورغم اجتهادة ومثابرته فلقد تأخرت الشهرة وخاف الناس من طريقته الجريئة في الرسم ، ومع ذلك عمل بثبات وديمومة وإذا لاحت له فرصة ولو بلا أجر فإنه

ينتهزها ، وعندما فكر الفنانين الفينيسيون الشباب اقامة معرض واستأجروا غرفة في ميرسيريا وهي اكثر بقاع فينيسيا ازدحاما ، اشترك بلوحتين بورتريه له والآخر لأخيه ولفت نظر كل من شاهد المعرض حتى تيتيان نفسه باح بأن أعمال تنتوريتو جيدة وصوره نقية وحية .

بدأ الحظ يبتسم لـ تنتوريتو منذ ذلك الحين وشيئا فشيئا بدأت الأعمال تتوالى عليه من محاريب الكنائس حتى قصر الدوق وكان هذا أعلى شرف يمكن لفنان فينيسي أن يتمناه ، انتهت أيام الفقر والمرسم البسيط الوحيد والحياة الحزينة ، واصبح منزله قصرا جميلا يطل على بحيرة تجاه مورانو .

تزوج ابنة أحد النبلاء الفينيسيين وعاش حياة قانعة سعيدة ودب دبيب الأقدام ا لصغيرة ، ربما كانت أعماله غريبة .. ولكنها كانت رائعة واكسبته لقب الرسام الث ائر وبدأ العالم يعرف أهميته ، ولكن نور حياته الحقيقي تمثل في ابنته الصغيرة ماريتا ، فبمجرد أن تعلمت المشي وجدت طريقها إلى مرسم والدها وظلت حتى سن الخامسة عشرة معه تساعده كما لو أنها أحد تلاميذه .. وكانت ترتدي دوما زي الأولاد ولم يفطن زائرو المرسم قط أن الصبي الماهر الوسيم .. كان حقا ابنة الرسام . ورسم الكثير من المدارس ومنها مدرسة سان روكو التي غطى جدرانها برسومه ماعدى حجرة تركها لفنانين آخرين ، ولكن أشهر أعمال رسامنا في قصر الدوق ؛ فلقد غطى جانبا كاملا من الصالة الكبيرة هناك راسما الجنة وهي أكبر عمل زيتي في العالم .

عندما كان تنتوريتو يرسم كانت ابنته ماريتا قد كبرت واصبحت أمرأة واضحت رسومها أيضا شهيرة ، ولقد دعيت للبلاط الألماني والأسباني ولكنها رفضت وفضلت البقاء مع والدها حتى حين تزوجت من ماريو لم تبتعد عنه فهي تجيد الرسم والعزف والغناء ، وفجأة توفت ماريتا في ريعان شبابها ودفنت في كنيسة سانتا ماريا ديل أورتو وطلب تجهيز مدفن بجوارها ، بدا وكأن الفنان الكبير لن يستطيع العيش دون ابنته ؛ فلم يمر وقت طويل حتى وافته المنية .

بول فيرونيس (باولو فرونزه) ١٥٢٨ ـ ١٥٨٨م

ولد بول كاجلياري آخر رسامي المدرسة الفينيسية في مدينة فيرونا التي جاء اسمها مع العبقري شكسبير في روميو وجولييت ومن دواعي فخرها ان منحت اسمها للفنان الفينيسي باولو فيرونس ، وجود الصبي بين والد مثالا وعما رساما شجعه ذلك على أن يبدأ العمل مبكرا ، وما ان ظهرت موهبته حتى أرسل لمرسم عمه ليتعلم دروسه الأولى في الرسم .

لم تكن فيرونا بعيدة عن فينيسيا ودائما ما كان يسمع باولو حكايات عنها ودوت اسماء فنانيها جيورجيون وتيتيان في أذنيه ، وكأنما يفتحان أمامه أبواب الجنه ليحاول رسم تفاصيل ملكة البحر الجميلة بمبانيها وحكاياتها وحلل نبلائها الثمينة ، وجاء اليوم الذي أرسل فيه للمدينة الحلم .

لم يلحظ أحد في فينيسيا ذاك الرسام الشاب الهادىء الذي يعمل بجد ، فقد عمل بثبات بمفرده لعدة سنوات حتى جاءته الفرصة في النهاية ليرسم سقف كنيسة القديس سباستيان ، وحين أنتهى منها عرفت فينيسيا عبقريته ودقة تفاصيل أعماله .

اتسعت شهرته أكثر وأكثر ورسم صورا رائعة ولكن المبالغة في سرد التفاصيل داخل الصور التي يرسمها مثل الخدم ومهرجوا البلاط والاولاد الزنوج وحتى القطط والكلاب وهو ما تسبب في استدعائه والتحقيق معه للإجابة عن سؤالهم : هل تتناسب تلك الصور أن تزين جدران الكنيسة ؟.

لقد هز فن الرسم بالفعل القوانين الملزمة للتقاليد القديمة وقد كان فيرونيس حرا يتبع خياله البهي ولكن من الذي يجزم أن تلك الحرية تعد مكسبا حقيقيا !

أغلق معكم صفحات هذا الكتاب ولا نغلق إبداع الفنانين الإيطاليين الرائعين ، وتلك المتعة العظيمة للبحث في يوميات حياتهم ولكن الكتاب رغم كل ما يحمل من تفاصيل لم يشف غليلا لشغوف ان يعيش مع الفنان لحظات إبداعة وعرقه وأنفاسه والفكرة التي طرأت على عقله وهو يمضغ قطعة من خبز أو رشفة من ماء .

لذلك أقدم بين يد حضراتكم خلاصة للكتاب فيما أراه مناسبا للتعريف ببعض الإشارات .

لماذا كتاب فرسان الفن؟

عـرض تحليـلي في نهايـة الكتـاب لمـا تناولتـه الكاتبـة مـن حيـاة وقصـص الفنانـين مـن الخـارج أي مـن القـشرة ولم تدخـل إلى النـوازع والأفـكار .

قراءة راضي جودة .

عرفت من خلال الكتاب سر الأسـماء التي تميز مراكز ومحلات وفنـادق واسـواق ودور سـينما في مدينتـي الأسـكندرية باسـماء مثـل ريالتـو وسـان جيوفـاني وسـان مـارك وسـان سـتيفانو وغيرهـا، وكأنهـا امتـداد طبيعـي لفينيسـيا الإيطاليـه .

الكتاب يتحدث عن قصص حياة ١٩ فنان إيطالي هم أهم رموز عصر النهضة :

- جيوتو ١٢٦٧ ـ ١٣٣٧م .
- فرا أنجيليكو ١٣٨٧ ـ ١٤٤٥م .
- ماساتشو (مازاتشو) ١٤٠١ ـ ١٤٢٨م .
- فرا فيليبو ليبي ١٤٠٦ ـ ١٤٦٩م .
- ساندرو بوتيشيللي (مارس ١٤٤٥ ـ مايو ١٥١٠) م .
- دومينيكو غرلانדايو ١٤٤٩ ـ ١٤٩٤ م .
- فيليبينو ليبي ١٤٥٧ ـ ١٥٠٤م .
- بياترو بيروجينو ١٤٤٦ ـ ١٥٢٤م .
- ليوناردو دافنشي ١٤٥٢ ـ ١٥١٩م .
- رافائيل ١٤٨٣ ـ ١٥٥٦ م .
- مايكل أنجلو ١٤٧٥ ـ ١٥٦٤ م .
- أندريه ديل سارتو ١٦ يوليو ١٤٨٦ ـ ٢١ يناير ١٥٣١ م
- آل بيلليني .. جنتايل بيلليني ١٤٢٩ ـ ١٥٠٧ م

جيوفاني بيلليني ١٤٣٠ ـ ١٥١٦ م

- فيتور كارياتشيو ١٤٦٠ ـ ١٥٢٥ م
- جيورجيون ١٤٧٧ ـ ١٥١٠ م
- تيتيان ١٤٢٧ ـ ١٥١٠ م
- تينتوريتو ٢٩ سبتمبر ١٥١٨ ـ ٣١ مايو ١٥٩٤م
- بول فيرونيس (باولو فرونزه) ١٥٢٨ ـ ١٥٨٨م

الكتاب مرجع مهم بحثا وتأليفا وترجمة عن قصص حياة الفنانين الإيطاليين الكبار ، وإن كان الكتاب ليس كتاب نقدي ولم يقدم للأعمال بقدر ما قدم للشخصيات وقد تبنى فكرة السرد حول سيرة الحياة للفنانين ، ولم يمنع ذلك من الوقوع في خطأ تدوين التاريخ بشكل مبهم حيث غابت بعض الأسماء وبعض الأرقام ، كما تغافل عن ذكر مايتم داخل ورش ومراسم واستوديوهات الفنانين من أعمال جمع وسحق للألوان وللفريسكو وللجص والتجهيزات التي كانت تتم ، كذلك الرسومات التي كانت تتم باقلام الرصاص وتثقب من اجل النقل والتكبير على الحوائط وكلها أمور وأعمال فنية تغافلت عنها المؤلفة ولم يحاول المترجم ان يخرج عن خط سير الكتابة داخل النص بوضع بعض الأسئلة والبحث عن إجابات لها ليس إلا التنويه الذي أشار له عن السلطان التركي المسلم الذي غاب اسمه على حساب قصة تشير إلى وحشية وغرور تلك السلطان ، وكذلك المقارنات بين طريقة فنان وآخر كانت تأتي في السياق وربما دون ترتيب ، فالمؤلفة والمترجم ليس لهما أي انتماء فكري في تكوين الصورة والفكرة التي تدفع الفنان أن يترك حياته بكاملها تنساق وراء الإبداع والدهشة التي تبقى شغفا يملي شروطه على كل ما يتعلق بالفنان في اليقظة والمنام ، ثم أن الكتاب تتداخل في داخله عوامل السلطة الدينية التي تحدد الموضوعات وتخلص الصور ، بل وتوجيه فكر الفنان لموضوعات بعينها في غالبها إما دينية أو ترضية للحاكم ، وقليلا هم الفنانين الذين ابدعوا في نقل حياتهم الخاصة وحياة مجتمعهم ولو بطريقة التحايل ، وقد تم نشر وإصدار الكتاب عام ١٩٠٧م

نبذة عن المؤلفة والمترجم

المؤلفة إيمي ستيدمان ، إنجليزية كتبت للأطفال في موضوعات دينية ، وفي الأدب ديكنز ، لم تدرس بشكل اكاديمي وانما بشكل شخصي ومن أهم أعمالها :

١ ـ الكتاب المدرسي .. قصص الكتاب المقدس .

٢ ـ أساطير وقصص من إيطاليا ١٩٠٩ م.

٣ ـ قصص الرسامين ١٩١٠م.

٤ ـ قديسو جزيرتنا ١٩١٢ .

٥ ـ حكايات مدرسية للأطفال .

والمترجم هـو الاسـتاذ الحسـيم محمـود خضـيري الحجاجـي ، مـن مواليـد الأقـصر ١٩٦٧ ـ تخـرج مـن كليـة الآداب قسـم التاريـخ والدراسـات الأفريقيـة ويعمـل باحثـا اجتماعيـا في المجلـس الأعـلى لمدينـة الأقـصر .

صدر له ديوانان من الشعر الفصيح (أغنية لغد بعيد ، وتراتيل المريد).

نشر العديد من القصائد والقصص القصيرة والمترجمة في كثير من المجلات والصـح ف والدوريات العربية والمحليـة .

له تحت الطبع : مدن الغيم / شعر ، شتاء لمملكة الغيوم / شـعر ، رجل وحيد وأش ياء حميمة / قصص قصـيرة .

نلاحظ هنـا أن المؤلفـة خبرتهـا تكمـن في الوعـظ والإرشـاد وأمـا المترجـم الشـاعر فقـد التـزم بقيـم النـص وترجمـه كـما هـو بـدون أي تدخـل بالحـذف أو الإضافة (الكتـاب الأ صلي) أما الحلقات التي دونتها في مدونتي ونشرتها بين أيديكم فقد تدخل الفنـان بالشرح والتحليل في كثـير مـن المواقـع والمواقـف التـي تحتـاج ان اقـول فيهـا كلمتـي .

اهتـم المـشروع القومـي للترجمـة بهـذا الكتـاب بـإشراف الدكتـور جابـر عصفـور في العـدد١١٤٦ بعـد مـرور مائـة عـام إصـداره ونـشرة تحـت عنـوان ملـوك الفـن

اللوحـات المصاحبـة للكتـاب جميـع اللوحـات المصاحبـة للكتـاب تفتقـر إلى الجـودة التـي يمكـن الحصـول عـلى مثيلتهـا اليـوم بفضـل التقنيـات الحديثـة والمبهـرة التـي اكتسـبها عـالم التصويـر الفوتوغـرافي والطباعـة الرقمية / واللوحـات التـي أضيفـت وتـم تجميـع مصادرهـا مـن جوجـل .



جيوتو ١٢٦٧ ـ ١٣٣٧م



فرا أنجيليكو ١٣٨٧ ـ ١٤٤٥م



ماساتشو (مازاتشو) ١٤٠١ ـ ١٤٢٨م



فرا فيليبو ليبي ١٤٠٦ ـ ١٤٦٩م



بياترو بيروجينو ١٤٤٦ ـ ١٥٢٤م .



دومينيكو غرلاندايو ١٤٤٩ ـ ١٤٩٤ م



ليوناردو دافنشي ١٤٥٢ ـ ١٥١٩م .



رافائيل ١٤٨٣ ـ ١٥٥٦ م .



مايكل أنجلو ١٤٧٥ ـ ١٥٦٤ م .



أندريه ديل سارتو ١٦ يوليو ١٤٨٦ ـ ٢١ يناير ١٥٣١ م



آل بيلليني



فيتور كارياتشيو ١٤٦٠ ـ ١٥٢٥ م



جيورجيون ١٤٧٧ ـ ١٥١٠ م



تيتيان ١٤٢٧ ـ ١٥١٠ م



تينتوريتو ٢٩ سبتمبر ١٥١٨ ـ ٣١ مايو ١٥٩٤م



بول فيرونيس (باولو فرونزه) ١٥٢٨ ـ ١٥٨٨م



